الفصل الرابع

تاريخ منطقة الرياض
خلال عهد الدولة السعودية المعاصرة

إعداد
الدكتور
محمد بن سليمان الخضيري
قسم التاريخ والحضارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS

توحيد وبناء

obeikan.com

المبحث الأول

الملك عبدالعزيز ومحاولة تأسيس الدولة السعودية

إن المتتبع لتاريخ الدولة السعودية منذ ظهورها على الخارطة السياسية للجزيرة العربية عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م يدرك أن مقومات البقاء والاستمرار ولدت معها وظلت تلازم مسيرتها رغم إمكاناتها المحدودة من جهة، ورغم الظروف المحيطة بها، وتعدد المناوئين لها من جهة أخرى.

وقد رأينا ظروف قيام الدولة السعودية الأولى ونجاحها السريع بفضل الله ثم بفضل تأييد الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ يرحمه الله ـ وما هي إلا سنوات قليلة حتى استطاعت التغلب على القوى الداخلية التي ناصبتها العداء، ثم مدت كيان الدولة شرقاً وغرباً لتصطدم بالدولة العثمانية التي جندت ولاتها في العراق والشام ومصر للقضاء على هذه الدولة الوليدة كما رأينا في الفصل السادس من هذا الكتاب.

ولأن البذرة صالحة، والمعدن نفيس، والمبادئ أصيلة، وتأييد السكان لم يضعف، فقد قامت الدولة السعودية الثانية بعد بضع سنوات من سقوط الأولى على الأسس والمبادئ نفسها، واتخذت من الرياض عاصمة لها بعد أن دمّر إبراهيم باشا الدرعية، العاصمة الأولى للدولة السعودية كما رأينا. ومنذ ذلك التاريخ أخذت الرياض تنمو، واستمرت تأخذ في سبيل التقدم والرقي. ورغم استطاعة الدولة السعودية الثانية استعادة كيان الدولة، وبسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية إلا أن أعداءها، وخاصة والي مصر محمد علي باشا، ظلوا يتربصون بها الدوائر ويتدخلون في شؤونها الداخلية حتى أسقطوا حكومتها أكثر من مرة. وإذا كانت الدولة السعودية الثانية قد استطاعت البقاء رغم هذه الظروف فإنها أخفقت في امتحان آخر هو النزاع بين الأخوة، وبروز قوى محلية، وتشابك المصالح الخارجية مما أدى إلى انطفاء الشمعة الثانية بعد حوالي خمس وسبعين سنة من قيامها.

ومرة ثالثة تظل الأسس ثابتة، والمقومات ماثلة لانبعاث شمعة جديدة بقيام الدولة السعودية المعاصرة على يد الملك عبدالعزيز -يرحمه الله-.[1] لقد استفاد من تاريخ آبائه وأجداده أعظم الدروس، فهو

---

(١) نظراً لتغير لقب الملك عبدالعزيز خلال الفترة التي يغطيها هذا البحث، وحرصاً على توحيد اللقب بما أصبح يطلق=

وعلى العموم فقد ولد الملك عبدالعزيز في وقت تكالبت فيه الشدائد على أسرته بسبب الخلافات العائلية، وتدخل القوى المحلية والخارجية التي هددت أركان دولتهم وكانت سبباً بإرادة الله في انتهاء حكمهم. وفي ظل الظروف السياسية والعسكرية التي حلت بالأسرة السعودية، وخاصة بعد معركة المليدا في ١٣ جمادى الآخرة عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م وانتصار محمد بن عبدالله بن رشيد على أهل القصيم، أدرك الإمام عبدالرحمن أن خطوته التالية ستكون الهجوم على الرياض، وحيث إن قوته لم تعد كافية لمواجهة ابن رشيد لم يجد الإمام عبدالرحمن بداً من الرحيل عنها حفاظاً على مقومات أسرته، وانتظاراً لوقت أفضل يعود فيه إلى عاصمة بلاده. وبعد أن أقام بضعة أيام فيها، حمل ما استطاع من ممتلكاته وأمتعته ورحل بأسرته وأقاربه وبعض رجاله في شهر رمضان من العام نفسه متجهاً إلى البادية بين يبرين والأحساء. وقد اختار هذه المنطقة لأنها أكثر أمناً، وذلك لبعدها عن مركز ابن رشيد من جهة، ولوجود بعض القبائل المتعاطفة معه، والمناوئة لخصمه مثل قبائل آل مرة والعجمان من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى أن البادية ومعيشة الصحراء تتيح له فرصة التأمل في المرحلة القادمة.[1] ويبدو أن الإمام

= (١٤٠٢هـ)، **تاريخ ملوك آل سعود**، ج١، مطابع المدينة، الرياض، ص ٤٨؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض، ص ٢٨٢، العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٧؛ السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٣-١٤. وقد تولى محمد بن عبدالله بن رشيد الإمارة في حائل عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م حتى وفاته في ٣ رجب ١٣١٥هـ الموافق ١ أكتوبر ١٨٩٧م. وكان رجلاً غنياً وسياساً ناجحاً، حيث كان يعتبر في ذلك الوقت رجل الجزيرة العربية القوي. انظر عن محمد بن رشيد خصوصاً، وتاريخ أسرة آل الرشيد عموماً؛ الذكير، مقبل عبدالعزيز، (١٣٦٣هـ)، **مخطوطة العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، مصورة عن نسخة في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص ١١٠؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد**، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، حيث خصص الكتاب كله للحديث عن نشأة هذه الأسرة؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٤هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص ١٧٧-١٨٧؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، **أمراء وغزاة، قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج**، دار الساقي، لندن، ص ص ١٤٥-١٥٣؛

Blunt, Lady Ann, (1881), Pilgrimage to Najd, vol. 2, London, pp. 2-3.

(١) انظر عن معركة المليدا وتطور الوضع السياسي بعدها؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٠؛ السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط) **تاريخ بعض حوادث وقعت في نجد**، ١٢٨٤-١٣٤٤هـ، ص ٢، عن السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ١٣؛ الذكير، مقبل=

عبدالرحمن تشجع بعد انضمام بعض المؤيدين له، وخاصة آل مهنا أمراء بريدة، وعاود الهجوم على الرياض لكنه لم يستطع دخولها فتركها واتجه إلى حريملاء، وهناك جرت بينه وبين ابن رشيد معركة حريملاء المشهورة عام ١٣٠٩هـ التي انهزم فيها فعاد ثانية إلى بادية الأحساء.[١] ودون الدخول في تفاصيل هذه الجولات من الحروب فإن ما يعنينا هنا هو أن الإمام عبدالرحمن وطّن نفسه على العيش في الصحراء. ونتيجة لهذا الواقع كان قَدَرُ الملك عبدالعزيز أن يتغرّب في البلاد والصحاري مع والده، ولذلك لم يعش فترة طفولته وصباه في حياة هانئة بل عاش في هذا الجو المتوتر، وكانت مدرسة الحياة هي المدرسة الأولى في حياته، فقد حرص والده على تعليمه كل ما ينفعه في حاضره ومستقبله، من القراءة والكتابة وأخذ قسط وافر من العلوم الدينية، كما علمه المهارات الحربية وفنون الشجاعة ووسائلها، ثم كان له حظ في التعرف على مجريات السياسة المحلية والدولية من خلال إقامته في البلاد المجاورة.

ولأهمية هذه المهارات التي تلقاها الملك عبدالعزيز في شبابه، وتأثيرها في مستقبل حياته، واستفادته منها خلال المرحلة التاريخية الدقيقة والحساسة من مراحل توحيد البلاد، فإن من حق الأجيال الحاضرة والقادمة أن تعرف دقائق حياة الملك عبدالعزيز ونشأته. فمن الناحية العلمية، أوكل والده هذه المهمة إلى نخبة من العلماء في ذلك الوقت، حيث تعلم في بداية حياته مبادئ القراءة والكتابة على عالم من أهل الخرج مقيم في الرياض اسمه عبدالله بن محمد الخرجي.[٢]، كما قرأ القرآن الكريم كاملاً وحفظ بعض سوره على يد الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم تعلم بعض العلوم الدينية مثل التوحيد

= عبدالعزيز، (١٣٦٣هـ)، مصدر سابق، ص ص ٩٦-٩٧؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٦، ٥٧؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٤هـ)، مرجع سابق، ص ١٨٧. وانظر كذلك؛

Philby, J.B., (1955), Saudi Arabia, Arro Press, Nw York, p. 234.

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٢؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٢٢٤.

(٢) انظر تعريفاً به في: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، **الخرج**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ١٠٤، هامش ٣.

وأصول الفقه على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، كما كان يحفظ الرحبية في الفرائض، وتعلم زاد المستقنع في الفقه، ويحفظ من الحديث الأربعين النووية، وبلوغ المرام، وكان يحب قراءة البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، والسيرة لابن هشام، والمغني والشرح الكبير، والإنصاف، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وكان يحب من الشعر ما تميز منه بالطابع الإسلامي والنصائح.[١] ومن ناحية أخرى كان لوالدة الملك عبد العزيز، سارة بنت أحمد السديري فضل كبير في توجيهه لمعالي الأمور وإعداده للمهمات الصعبة منذ صغره.[٢]

أما من ناحية مقومات الحياة في ذلك الوقت، فقد حرص والده على تزويده بكل ما يساعده على خوض غمار الحياة بكل ثقة ومقدرة. وكما ذكرنا سابقاً عاش الملك عبدالعزيز فترة صباه بعيداً عن حياة المدينة وما فيها من أسباب الراحة والدعة، فقد عاش فترة تربو على سبعة أشهر متنقلاً بين قبائل آل مرة والعجمان وتعلم مع أبنائها احتمال مكاره العيش والصبر على الجوع والعطش والتعب، وافتراش الأرض والتحاف السماء.[٣] ومع هذه الحياة القاسية لم يضع الملك عبدالعزيز وقته بالتحسر على تلك الحياة الهانئة التي عاشها طفلاً، وعاشها أسلافه من قبل، بل أمضى جل وقته متنقلاً مع والده بين القبائل البدوية في أطراف الربع الخالي مستفيداً من مدرسة الصحراء. فمن الناحية الحربية تعلم فنون الشجاعة وأخذ منها بحظ وافر مما كان يتعلمه أبناء جيله. وفي مجال الخبرة في السلاح، أحسن استخدام البندقية كالرماة، حتى قيل إنه تغلب على أول مبارز له وهو في سن الحادية عشرة من عمره، كما تعلم ركوب الخيل حتى أصبح كالفرسان. وقد وصف، وهو في الأربعين من عمره، بأنه فارس صبور، قلما يوجد له نظير بين أهل الصحراء، وكان مشهوداً له بالإقدام.[٤] وفي مجال الحروب كانت إقامته في الصحراء فرصة له للتدرب على فنون القتال، وما تحتاجه الحروب في ذلك الوقت من السرعة والدهاء، وكيفية

---

(١) رواية شفهية عن الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان الخثعمي المتوفى في ٢٦/ ١٠/ ١٤٠٣هـ.

(٢) هي سارة بنت أحمد بن محمد السديري، من أهل بلدة الغاط في سدير، كانت من أكمل النساء عقلاً وتدبيراً، وكان أبوها ممن حارب إبراهيم باشا، وقد ولاه خالد بن سعود إمارة الأحساء عام ١٢٥٤هـ. وكان يُروى عنها الشعر الملحون. توفيت في أواخر عام ١٣٢٧هـ/ ١٩١٠م. انظر: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٧، ٦١. وقد استقى الزركلي بعض هذه المعلومات عن الملك خالد يرحمه الله.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٥.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩١ نقلاً عن صحيفة الإيجبشن ميل (Egyptian mail) في عام ١٩١٦م.

مباغتة العدو، والظهور فجأة في أماكن لا يتوقع ظهوره فيها. كما تعلم كيف يخفي آثاره بحيث لا يعرف العدو اتجاهه، وكيف يستفيد من طبيعة الأرض من أخاديد وأحجار. ثم تعلم طريقة الاعتماد على الآثار في تحركاته وتنقلاته، وما يستطيع استنباطه منها من معلومات.[١] ومن جانب آخر كان الملك عبدالعزيز خلال إقامته في الصحراء يتأمل حياة القبائل والعلاقات بينها، وكان مهتماً بعاداتها وتقاليدها، ومصادر قوتها ونقاط الضعف لديها.[٢] أما ذكاؤه فقد كان منذ صغره تبدو عليه أمارات الذكاء والنشاط والحيوية؛ كما ورد على ألسنة من عرفوه عن قرب. يروي حافظ وهبه عن أصدقائه الكويتيين ممن عاصروا الملك عبدالعزيز في صباه أنه كان يفوقهم نشاطاً وذكاءً، وأنه كان يتزعمهم دائماً في الألعاب المألوفة لمن كان في سنه، وأنه كان دائماً يميل إلى سماع تاريخ جده الإمام فيصل وبطولاته من شيوخ نجد المسنين المقيمين في الكويت.[٣] وإلى جانب ذلك، تمتع الملك عبدالعزيز ببنية جيدة، فكان رجلاً طويل القامة، متناسب الأعضاء، حسن الوجه، أبيض البشرة، أسود الشعر، خفيف اللحية، والعارضين، بارز الصدر، عريض المنكبين، حاد العينين، دقيق الخصر، ضامر البطن، مفتول الساعدين والساقين.[٤] وقد حافظ الملك عبدالعزيز على هذه البنية الجيدة رغم تقدمه في العمر. يقول عباس العقاد إن الملك عبدالعزيز وهو يناهز السابعة والستين يحتفظ بقوة عضلية لا تتوفر للكثيرين في سن العشرين أو الثلاثين، وهو يحتفظ بجميع أسنانه. ويرجع الاحتفاظ بهذه البنية إلى نظام المعيشة الذي يلتزم به.[٥] أما الصفات الشخصية والخلقية، ومؤهلات القيادة، والتمسك بالدين، والسخاء

---

(١) إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص ١٧٩.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٧-٥٨؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) وهبه، حافظ، (١٣٨٠هـ)، **خمسون عاماً في جزيرة العرب**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ص ٢٧؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٩-٦٠.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص٥٧، كما أورد في صفحة ٢٩١ أوصافاً للملك عبدالعزيز عندما كان عمره أربعين سنة عن صحيفة الايجبشن ميل سنة ١٩١٦م؛ انظر كذلك: الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، **نبذة تاريخية عن نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٢٦؛ الريحاني، أمين، (د. ت.)، **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت، ص ٥٣٣.

(٥) للمزيد عن هذا الموضوع راجع: العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، "مع الملك عبدالعزيز في البحر"، **جريدة المصور المصرية**، العدد ١١١، ص٤.

والكرم فقد كانت من العوامل التي أهلته لقيادة هذه البلاد.[١]

وهكذا نجد أنه على الرغم من أن فترة الاغتراب التي فُرضت على الإمام عبدالرحمن وأسرته كانت قاسية ومريرة بسبب الظروف التي ألجأتهم إلى ذلك، إلا أن الملك عبدالعزيز عرف كيف يستثمرها لصالحه، حيث اكتسب خلال هذه الفترة صفات كثيرة قلما تتوفر لأحد غيره. ولا شك أن العلوم التي استقاها في طفولته، والمهارات الحربية التي تعلمها، والفراسة والذكاء، ومعرفة أحوال القبائل وعلاقاتها، واتصاله بالحكام، ومعرفة تجاربهم السياسية، كلها خبرات استفاد منها الملك عبدالعزيز في مستقبل أيامه أحسن استفادة وكانت مقومات استراتيجيته التي عول عليها، بعد الله، في ضم البلاد السعودية في وحدة وطنية متكاملة العناصر مترابطة الأواصر من الحاضرة والبادية.

ومن جانب آخر كانت فترة تنقل الإمام عبدالرحمن وأسرته فرصة أخرى للملك عبدالعزيز في مجال السياسة، فكرة وتجربة وممارسة، كما استفاد من التعرف على دهاليز السياسة، وطريقة التعامل بين الحكام والتفاوض معهم وهو في هذه السن المبكرة. ففي خلال وجوده في الصحراء أرسله والده إلى حاكم البحرين عيسى بن علي آل خليفة يستأذنه في نزول النساء والأطفال من أسرته في جوار البحرين نظراً لصعوبة العيش في الصحراء عليهم فنجح في مسعاه.[٢] ثم أقام خلال الفترة من شهر صفر حتى شهر جمادى الأولى عام ١٣١٠هـ الموافق أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢م مع والده وحاشيته في ضيافة شيخ قطر.[٣] ويبدو أن الإمام عبدالرحمن وطّن نفسه بالبقاء فترة طويلة في قطر بدليل أنه بعث من

---

(١) انظر تحليلاً لجوانب من هذه الصفات في: الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، الدولة السعودية الثالثة، ج ١٠، ص ص ٤٨٦-٤٨٧، **عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود**، ج ١٦، ص٩٤.

(٢) انظر عن تنقل الأسرة في هذه الفترة: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٣، حيث يذكر أن الأسرة انتقلت إلى العقير على ظهور الابل، ومن هناك ركبت السفن الشراعية إلى البحرين برفقة الملك عبدالعزيز وأخيه الأصغر محمد. انظر كذلك:

Philby, J.B., (1955), op. cit., p. 234.

(3) Lorimer, J.G, (1986), Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Archive Edition, p.1140.

لوريمر، النسخة المعربة، ص ١٦٩٤.

وقد اعتمدنا على النسخة الإنجليزية لأن النسخة المعربة تحوي أخطاء كثيرة علمية ومطبعية، وقد قام كاتب هذا البحث بتجميع وتبويب وتحقيق ما يخص البلاد السعودية من كتاب دليل الخليج في كتاب سيصدر قريباً إن شاء الله، وهو تحقيق للنسخة المعربة من دليل الخليج، القسم التاريخي، الذي قام مكتب سمو أمير دولة قطر بترجمته وصدر عام ١٩٧٦م. وسنورد في هذا البحث الصفحات في النسختين الإنجليزية والمعربة تعميماً للفائدة.

يحضر أسرته الموجودة في البحرين في ذلك الوقت. وفي مرة أخرى أرسله والده إلى المتصرف العثماني في الأحساء للتفاوض حول السماح للأسرة السعودية بالإقامة في الأحساء، أو في المناطق المحيطة بها، لكن المتصرف لم يستطع تحمل الموافقة الشخصية نظراً لما ينطوي عليه هذا الطلب من مغزى سياسي نظراً لعلاقته بأطراف أخرى فاعتذر له.[1] وبغض النظر عن نتائج هذه المهمات إلا أن ما يهمنا هو أن الملك عبدالعزيز استفاد منها فائدة كبيرة. لقد مكنته رحلته إلى الأحساء من مقابلة المتصرف، الذي يحيط نفسه عادة بهالة من العظمة، وأزالت عنه الرهبة في مثل هذه المواقف، كما استشف من خلالها بعض خفايا الأمور. ومن جانب آخر، فإن هذه المفاوضات لا بد أنها تركت آثارها على مستقبل وجود الإمام عبدالرحمن وأسرته كما سنلاحظ فيما بعد. ويظهر أن مصير الإمام عبدالرحمن وأسرته كانت محور مفاوضات على مستوى رفيع في الإدارة العثمانية العليا. وكانت النتيجة أن سمح له في عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م بالانتقال والإقامة في الكويت بعد اكتمال تلك المفاوضات والتفاهم بشأنها بين متصرف الأحساء والدولة العثمانية من جهة، وبين متصرف الأحساء والإمام عبدالرحمن من جهة أخرى. ويدل على هذا الاستنتاج أن كلاً من متصرف الأحساء وشيخ الكويت كانا مترددين في السماح للإمام عبدالرحمن بالإقامة في بلديهما قبل ذلك.

وقبل الدخول في تفاصيل إقامة الملك عبدالعزيز في الكويت قد يرد تساؤل عن ظروف موافقة الدولة العثمانية على إقامة الإمام عبدالرحمن وأسرته في الكويت وهدفها من ذلك، ولماذا وافقت على أن تدفع له راتباً شهرياً، وما هو موقف الشيخ محمد بن صباح من هذه الإقامة، وهل كان بدافع النخوة العربية الإسلامية، أم بطلب من الدولة العثمانية؟. والجواب على هذا التساؤل يعود بنا إلى الوراء قليلاً عندما كان الخلاف على أشده بين الإمام عبدالرحمن، وإخوته، وبين ابن رشيد حليف الدولة العثمانية في بلاد نجد، الذي استطاع بمساعدتها، وبسبب الظروف المحيطة بالأسرة السعودية، التفرد بالحكم في بلاد نجد. أما الدولة العثمانية فقد كانت حريصة بشكل واضح على استقطاب الإمام عبدالرحمن، أو على الأقل التعرف على علاقاته الداخلية والخارجية، ورصد اتصالاته وتحركاته. وفي هذا المجال، وعندما كان الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز في بوادي الأحساء يتنقل بين بوادي آل مرة والعجمان عرض عليه والي الأحساء عاكف باشا، عن طريق الطبيب اللبناني الدكتور زخور عازار، أن يكون أميراً على الرياض على أن يعترف بسيادة الدولة العثمانية على بلاد نجد، ويدفع للدولة العثمانية كل سنة ألف

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٤.

ريال مقابل أن تتعهد الحكومة العثمانية بحمايته وتمده بالمال والسلاح، لكنه رفض هذه الشروط.[١] ويبدو أن الإمام عبدالرحمن كان يريد أن يكون حاكماً مستقلاً كما كان آباؤه وأجداده، ولم يكن راغباً في أن يكون حاكماً اسمياً تحت سلطة الدولة العثمانية التي لم تكن مواقفها من أسرته طوال تاريخها مواقف إيجابية بل كانت مواقف عدوانية، بخاصة قضاءها على الدولة السعودية الأولى، وعرقلة قيام الدولة السعودية الثانية. وفي مرة أخرى، عندما اعتذر شيخ الكويت عن استضافة الإمام عبدالرحمن، وبينما استقر لفترة محدودة في قطر، كانت الدولة العثمانية تراقب تحركاته ولذلك كلفت والي الأحساء في ذلك الوقت لعقد اتفاق مع الإمام عبدالرحمن لكي تأمن تحركاته، فأرسل إليه وتم الاتفاق بينهما على السماح له بالإقامة مع أسرته في الكويت على أن تدفع له الدولة العثمانية ستين ليرة عثمانية.[٢] والواقع أن الدولة العثمانية اتخذت من ابن رشيد حليفاً لها ومنفذاً لتعليماتها في بلاد نجد خاصة، وفي شبه الجزيرة العربية بوجه عام، لأنها لم تستطع أن تقنع أو تغري الإمام عبدالرحمن بأن يقوم بهذا العمل، بل إنه رفض عرضها عليه بأن يتولى الحكم في الرياض مقابل اعترافه بتبعيته الاسمية للدولة العثمانية.[٣]

---

(١) آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبد المحسن، (١٣٧٩هـ)، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، ج١، مطابع الرياض، الرياض، ص ١٨٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ص ٤٩-٥٠؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٢.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ٦٧؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما**، مؤسسة الريحاني، بيروت، ص ١٠٦. ويذكر Lorimer, J. G., (١٩٨٦), op. cit., p. ١١٤٠. أن مقدار الراتب ثلاثة وثلاثون (t#) وهي في الغالب تعني ليرة تركية، حيث لا يوجد في اللغة الإنجليزية رمز لليرة كما هو الحال في الجنية أو الدولار، وقد وردت العبارة في النسخة المعربة، ص ١٦٩٤، ٣٣ ليرة عثمانية. ويبدو أن هذا المخصص كان يصرف لفترة ثم توقف، ثم أعيد صرفه مرة أخرى. ويدل على هذا الاستنتاج أن الوثائق العثمانية تذكر "أنه تم إعادة تخصيص معاش لعبد الرحمن الفيصل . . . بدلاً من ذلك الذي قطع أخيراً، وأن الأمر منوط بصدور الإرادة السنية من صاحب الخلافة" انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٢**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ. ولمزيد من المعلومات عن موقف الدولة العثمانية وأهدافها من تبعية كل من ابن رشيد والإمام عبدالرحمن وتحركاتهما، وعن العلاقة المتوترة بين شيخ الكويت وابن رشيد انظر: وهبه، حافظ، (١٣٨٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٢-٣٣؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ/ ١٩٠٢-١٩٢٢م**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٤٢-٥٢.

(3) Habib, John. S, (1970), **The Ikhwan Movement of Najd: Its Rise, Development, And Decline**, PH.D., The University of Michigan, p.17.

وعندما فشلت مساعيها في هذا المجال خشيت أن تفقد كل شيء، ولهذا، فعندما سمحت له أخيراً بالإقامة في الكويت، كانت في الواقع تهدف إلى مراقبة حركاته واتصالاته لعلمها بأنه لن يستطيع السكوت على الضيم وهو يرى عدوه يحكم بلاد آبائه وأجداده. ومن جهة أخرى أدركت الدولة العثمانية، في سعيها للتقليل من تأثير الإمام عبدالرحمن، أن إقامته في الكويت فرصة لإبعاده عن الاتصال ببعض القبائل الموالية له، وخاصة في الأحساء.[١]

أما موافقة محمد بن صباح على استضافة الإمام عبدالرحمن فكان المحرك الأول لها هو الضغوط السياسية من جانب الدولة العثمانية في ذلك الوقت، بدليل أن الأسرة السعودية تنقلت في عدة أماكن قبل أن تستقر أخيراً في الكويت، بل إن بعض الروايات تذكر أن محمد بن صباح اعتذر عن استضافة الإمام عبدالرحمن، فرجع من حدودها وتوجه إلى قطر حيث أقام هناك شهرين.[٢] ومهما كانت الظروف التي جعلت أمير الكويت يعتذر عن استضافة الإمام عبدالرحمن فإنه يجب دراسة تلك الظروف بعناية لأن الرغبة شيء والعمل شيء آخر، وربما كان أمير الكويت راغباً في استضافة الأسرة السعودية لكنه لم يستطع ذلك بسبب تشابك المصالح السياسية الدولية والمحلية في هذه المرحلة، أو كما يقول الزركلي أن ابن صباح "لم يجرؤ على الجمع بين مناوأة ابن رشيد ومخالفة سياسة الترك"[٣] ويؤيد هذا ما حصل بالفعل عندما قبل هذه الاستضافة متأخراً بطلب من الدولة العثمانية من جهة، ولكسب موقف الإمام عبدالرحمن.[٤]

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٦٢.

(٢) الذكير، مقبل عبدالعزيز، (١٣٦٣هـ)، مصدر سابق، ص ٩٨؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٠٦؛ آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن، (١٣٧٩هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ١٨٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٦٥.

(٤) من المعلوم أن أمير الكويت في ذلك الوقت، محمد بن صباح، كان خاضعاً خضوعاً تاماً للدولة العثمانية، وكان يحمل لقب قائمقام الكويت مقابل معونة تدفعها له الدولة العثمانية، وقد استمرت هذه المعونة، فيما بعد، في عهد الشيخ مبارك، حرصاً منها على تدعيم ارتباط الشيخ مبارك معها. وقد قامت الدولة العثمانية بهذا التحرك بعد تلقيها معلومات عن محاولة بريطانيا تحريك مبارك الصباح ضدها، وكانت تهدف إلى جعل هذه التحركات بدون تأثير. ومن الخطوات التي قامت بها في هذا المجال تكليف نقيب البصرة بالتوجه نحو مبارك الصباح لنصحه وموعظته. وكان نقيب الأشراف يرى ملاطفة الشيخ مبارك بمنحه رتبة ميراميران أي أمير الأمراء، وبقطعة نيشان وبقبول=

أما الإمام عبدالرحمن فقد وافق على الإقامة في الكويت، رغم ما تنطوي عليه من شروط قد تقيد من حرية تحركاته واتصالاته السياسية، لأنه يعتبرها إقامة مؤقتة، ولهذا فقد فضلها على عرض الحكومة العثمانية عليه بأن يكون حاكماً على الرياض تحت سلطة العثمانيين كما ذكرنا من قبل. والواقع أن الإمام عبدالرحمن وجد أن إقامته في الكويت فرصة له لالتقاط أنفاسه بعيداً عن عدوه محمد بن عبدالله بن رشيد، وهو بهذا لم يتخل عن مطالبته بحكم بلاد نجد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعتبر الكويت، بحكم موقعها وحركتها التجارية مع بلاد الجزيرة العربية ومع العالم الخارجي، مقراً لكثير من أبناء نجد الذين أقاموا بها مؤقتاً للمتاجرة، أو الإقامة بها بصفة دائمة، بالإضافة إلى من ألجأتهم ظروف الوضع السياسي والحربي في بلاد نجد إلى الارتحال هرباً بأنفسهم إلى الكويت. وقد وجد الإمام عبدالرحمن نفسه مع أبناء جلدته ليسوا أغراباً في الكويت، مع اختلاف وضع الإمام عبدالرحمن عن بقية النجديين في الكويت بسبب منحه ما يمكن أن يسمى في العرف الدبلوماسي الحديث لجوءاً سياسياً مع فارق الظروف.

إرهاصات قيام الدولة السعودية المعاصرة:

مرت السنوات التسع التي أقامها الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز في الكويت ثقيلة، لكنهما استفادا خلالها فوائد كبيرة. فبالنسبة للإمام عبدالرحمن كان وجوده في الكويت فرصة له للاطلاع على ما كان يجري داخل بلاد نجد من خلال المعلومات التي يستقيها من أهل نجد الذين يترددون بين نجد والكويت من أجل التجارة. أما الشاب عبدالعزيز فقد استفاد من هذه الإقامة خبرات سياسية لم تحصل له في مكان آخر، خاصة وهو ما يزال في أوائل عمره. والواقع أن الكويت كانت مدرسته الأولى في السياسة العملية، ففي ذلك الوقت كانت المناورات السياسية، ومحاولة الدول الغربية مد نفوذها إلى منطقة الخليج العربي ما تزال تحتل الصدارة في جميع المحافل السياسية، ومنها الكويت، وخاصة في عهد الشيخ مبارك الصباح.[1] وفي الحقيقة فإن موقع الكويت الاستراتيجي على مدخل الخليج العربي

= استرحامه في الاستمرار بتقديم المساعدة التي تقدم لعائلة الصباح منذ القدم والتي مقدارها ٢٨٠ طناً من التمور سنوياً، وهذا سيفيد جداً في تقوية صداقته ودوام ارتباطه. وقد اشترط لسريانها المحافظة على قوة وأمن وحقوق الدولة العثمانية في الكويت على أن تدفع من موازنة المعاشات الذاتية. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٨**، من وزارة الداخلية إلى السلطان، تاريخ ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٥**، من وزارة المالية إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٢**، تقرير عن مخصصات قائمقام الكويت مبارك الصباح السنوية، من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ.

(١) تولى الشيخ مبارك الصباح الإمارة عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م، عندما أقدم على قتل أخويه محمد وجراح بسبب خلاف=

جذب انتباه الدول الغربية، وخاصة بريطانيا التي تنبه مخططو طرقها البحرية إلى أهمية الكويت منذ عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م. وكان أبرز ما يدور في الساحة السياسية في هذه المنطقة في ذلك الوقت المشروعات الاقتصادية الغربية ذات البعد السياسي. ومن هذه المشروعات توقيع ألمانيا اتفاقية مع الدولة العثمانية في أواخر عام ١٣١٦هـ/ أبريل ١٨٩٩م لمد خط حديدي يمتد من برلين في ألمانيا إلى بغداد مروراً باستانبول، وكان مخططاً له أن ينتهي في الكويت.(١) ومن جانب روسيا حاول ولهلم الثاني قيصر روسيا Kaiser Wilhelm II، في التسعينات من القرن التاسع عشر، الحصول على امتياز من الدولة العثمانية لاستخدام الكويت كنهاية لمشروعه، سكة حديد الشرق الأوسط، يبدأ من مدينة باماكو مروراً بأصفهان والأراضي الإيرانية حتى يصل إلى الخليج العربي، بالإضافة إلى إقامة محطة للفحم في الكويت، وكان الهدف من وراء تلك المشروعات الوصول إلى مياه الخليج العربي "الدافئة".(٢) وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تعارض هذه المشروعات خوفاً على مصالحها في المنطقة، والطرق البحرية والبرية المؤدية إلى أملاكها في الهند، ولذلك تدخلت بريطانيا سريعاً وأعلنت الحماية على الكويت.(٣) وفي هذا الجو السياسي المتوتر كانت مجالس الشيخ مبارك الصباح مجالاً لالتقاء أقطاب السياسة الدولية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا

= عائلي حول السلطة. وقد استمر حكم الشيخ مبارك حتى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م. وللمزيد من التفاصيل عن هذه الظروف راجع: السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٣٠.

(١) بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، عبدالعزيز آل سعود، **سيرة بطل ومولد مملكة**، ترجمة عبدالفتاح ياسين، دار الكاتب العربي، ص٦٥.

(2) Peretz, Don, (1983), **The Middle East Today**, Praeger Publishers, New York, pp. 487-488.

انظر تفاصيل أخرى عن ظروف توقيع هذه الاتفاقية لاحقاً. كذلك انظر: بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٦؛ الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الثالثة**، ج ١٠، ص ٤٨٦.

(٣) وقعت هذه الاتفاقية في عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م، لكنها لم تعلن إلا بعد ذلك بسنتين. وظلت سارية المفعول حتى استبدلت بمعاهدة استقلال الكويت في ٤ محرم عام ١٣٨١هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٦١م. انظر عن هذه المعاهدة وظروف توقيعها: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١١** تقرير بشأن إنزال قوات حربية بريطانية في الكويت، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٣**، من الصدر الأعظم إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ؛ الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، **تاريخ الكويت**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ص١٢٨-١٢٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧٢؛ قدورة، زاهية، (د.ت)، **شبه الجزيرة العربية: كياناتها السياسية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص٥٠١.

وروسيا والدولةالعثمانية)، بالإضافة إلى القوى المحلية في الخليج والدول العربية.[١] ومع أن الملك عبدالعزيز لم يكن طرفاً فيها إلا أنه كان يحضر مجلس الشيخ مبارك ويلاحظ ما يجري هناك من محاورات ومفاوضات وصفقات واتفاقيات، وكان يختزن خلاصاتها ويتدبر طرق معالجة الأمور فيها. وعندما رأى منه الشيخ مبارك حرصه ونباهته أفسح له المجال وأشركه في بعض تلك المناقشات.[٢] وتذكر بعض الآراء أن الشيخ مبارك أدرك أن وجود أمير سعودي مبعد عن وطنه يحمل صفات الطموح، والنظر إلى معالي الأمور، وعلامات الزعامة المبكرة كان فرصة له في تحقيق طموحاته ونشاطه السياسي، فبدأ يقربه منه في مجالسه عله يستفيد منه في المستقبل في خططه السياسية والعسكرية.[٣] ومهما كانت أهداف الشيخ مبارك من عنايته بالملك عبدالعزيز وتقريبه، فإن مما لا شك فيه أن هذه الأجواء السياسية التي كانت متوفرة في الكويت آنذاك كانت فرصة للملك عبدالعزيز للاستفادة منها مستقبلاً كما كشفت عنه الأحداث فيما بعد.

المحاولة الأولى لاستعادة الرياض:

من هذه الخلفية الشخصية، والإحاطة بالظروف السياسية والعسكرية في هذه المنطقة برز الملك عبدالعزيز، ومن تاريخ آبائه وأجداده اتخذ له نبراساً وقدوة، حتى إذا بلغ مبلغ الشباب أصبح

---

(١) انظر عن موضوع الصراع الدولي في الخليج منذ وصول البرتغاليين حتى قيام الدولة السعودية المعاصرة؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٢٠-٢٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧١؛ عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، **صقر الجزيرة**، مؤسسة عبدالحفيظ البساط، بيروت، المجلد الأول، ص ٢٢٥؛ الطربين، أحمد، (يوليو ١٩٧٦)، عبدالعزيز آل سعود منشيء دولة وباعث نهضة، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، العدد السابع، السنة الثانية، ص ٤٠. انظر كذلك: وليمز، كنث، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م)، **ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز**، تعريب كامل صمويل مسيحة، المطبعة الأدبية بيروت، ص ٢٣؛ فاسلييف، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ص ص ٢٤٣-٢٤٨؛ بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٧.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٠.

(٣) فلبي، سنت جون، (د.ت.)، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (السلفية)**، تعريب عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت، ص ٢٧٣. وانظر كذلك:

Graves, Philip, (1941), The Life of Sir Percy Cox, London, p. 100.

استخلاص ملك آبائه وأجداده ديناً عليه لا ينفك عن التفكير فيه، ومن هنا بدأ يفكر في استعادة الرياض.[١] وخلال إقامة الملك عبدالعزيز في الكويت لم تكن الرياض تفارق مخيلته لحظة واحدة، كما كانت كذلك منذ خروجه منها مع والده، ولا يلام في ذلك فهي المدينة التي تفتحت عيناه على ثراها، وعاش طفولته بين أحيائها. يذكر خالد الفرج نقلاً عن حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة أمير البحرين أنه سأل الملك عبدالعزيز في صباه "أقطر أحسن أم البحرين؟ فأجاب الملك عبدالعزيز على الفور: الرياض أحسن منهما فقال الشيخ عيسى: سيكون لهذا الغلام شأن"[٢] وهي دلالة على النباهة التي لازمته منذ صغره، وعلى الحس الوطني الذي تشرّبه منذ نعومة أظفاره، كما تدل على أن الرياض هي كل تفكيره في ذلك الوقت.

وعندما بلغ الملك عبدالعزيز مبلغ الرجال أدرك أن عليه أن يسدد الدين المحكم حول رقبته تجاه أسرته والمؤيدين لها، وأن يقوم بالواجب المنوط به لاسترجاع ملك آبائه وأجداده، وأن ينقذ بلاده التي عادت إليها الفوضى السياسية والنزعات القبلية التي طويت صفحتها بقيام الدولة السعودية. ومنذ ذلك الوقت عقد العزم على استخلاص بلاده من وضعها المتردي. ومع كل هذا التصميم لم يكن لديه من رصيد سوى إيمانه بالله، ثم بتاريخ أسرته الحافل بالبطولات، وكذلك عزيمة الشباب التي لازمته منذ قدومه إلى الكويت منتظراً الفرج من الله.[٣] ولم يطل الوقت ففي شهر ذي القعدة من عام ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠١م احتدم الخلاف والنزاع بين عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي انتزع حكم نجد في ذلك الوقت

---

(١) رغم أن أغلب كتب التاريخ المعاصرة للملك عبدالعزيز والمتأخرة عنه تذكر محاولة واحدة فقط قام بها الملك عبدالعزيز قبل المحاولة الثانية التي نجح خلالها في استعادة الرياض، إلا أن الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧٧، يذكر نقلاً عن رواية نصار في كتابه الرجل، أن الملك عبدالعزيز سبق أن قام مع رفاقه، وهو في سن الخامسة عشرة، بحملة محدودة إلى نجد وإثارة العشائر ضد ابن رشيد، لكنه لم يحالفه الحظ ورجع إلى الكويت. ويضيف الزركلي فإن صحت هذه الرواية فتكون المحاولة قد تكررت. ونحن نعتقد أنه سواء صحت هذه الرواية أم لا، فإن من المؤكد أن الملك عبدالعزيز كان دائم التفكير في أي عمل يستطيع القيام به لاستعادة ملك آبائه وأجداده، ويدل على ذلك كثرة إلحاحه على والده للسماح له باستغلال أي فرصة ممكنة للوصول إلى نجد، وهذا ما تم فعلاً عندما قام الملك عبدالعزيز بمحاولته الأولى والثانية لاستعادة الرياض.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص٦٠.

(٣) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٦.

وبين الشيخ مبارك الصباح بسبب أطماع ابن رشيد وتطلعه إلى ضم الكويت إلى إمارته لكي تصل حدودها إلى الخليج. [١] وكانت الدولة العثمانية تؤيد ابن رشيد في موقفه هذا رداً على تقارب الشيخ مبارك الصباح مع بريطانيا الذي توج بمعاهدة حماية كما أسلفنا. ويذكر خزعل أن للشيخ مبارك أهدافاً في بلاد نجد، حيث كان يطمع بأن يكون هو سيد بلاد نجد وتوابعها، بالإضافة إلى الكويت، وكان يرى أنه الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقف في وجه ابن رشيد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان الشيخ مبارك الصباح يسعى إلى إحياء وإنعاش طرق تجارة الكويت وتنمية مواردها التي يعتمد جزء منها على بوادي نجد، وهي لن تكون آمنة بسبب الغارات التي تشنها القبائل التي تلقى الدعم من آل الرشيد في حائل. [٢] ولتحقيق بعض أهدافه، ولردع ابن رشيد عن تنفيذ تهديده للكويت أراد الشيخ مبارك أن يعاجل ابن رشيد بحملة عسكرية إلى نجد. ورغم أن أمير الكويت لقي مساعدة من سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق، إلا أنه كان يتطلع أيضاً إلى مساعدة، ولو معنوية، من الإمام عبدالرحمن، زعيم نجد المقيم عنده، في ذلك الوقت، حيث اعتقد أنه سيرحب بأي مبادرة لحرب ابن رشيد قد تؤدي إلى عودة الحكم السعودي. وفي الوقت نفسه كاتب الشيخ مبارك الصباح باسمه وباسم الإمام عبدالرحمن عدداً من رؤساء نجد يؤلّبهم على ابن رشيد. [٣] وتذكر بعض الآراء أن الإمام عبدالرحمن بدأ يفكر في عمل عسكري داخل بلاد نجد، بل إنه بدأ بالفعل يتحرك في هذا المجال، خصوصاً بعد بداية ظهور علامات التفكك في إمارة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد. ومن جهة أخرى فإن ما اتبعه هذا الأمير من سياسة البطش والتنكيل بالسكان قد ألّبت القبائل النجدية عليه وأعادت إلى الذاكرة حالة انعدام الأمن في بلاد نجد، والخوف على الأعراض والدماء والأموال التي كانت مصانة طوال عهد الدولة السعودية خلال

---

(١) تولى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الإمارة في حائل عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م وقتل في معركة روضة مهنا عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م. أما الشيخ مبارك الصباح فقد تولى الإمارة في الكويت عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م حتى عام ١٣٣٤ هـ/ ١٩١٥م. أما أسباب النزاع بينهما فقد تطورت نتيجة تحرشات من الجانبين، وذلك عندما قام حمود الصباح بحملة على بعض العشائر التابعة لشمر، وعندها غضب ابن رشيد وقام بحملة مماثلة للهجوم على العشائر التابعة لأمير الكويت. وبعد ذلك جهز مبارك حملة كبيرة على ابن رشيد والتي عرفت بوقعة الصريف عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، التي نحن بصددها والتي اشترك فيها الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز.

(٢) خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، **تاريخ الكويت السياسي، عصر الشيخ مبارك**، ج٢، دار الكتب، بيروت، ص ٤٠.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٧؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٧٣.

عهديها الأول والثاني. ومن أجل ذلك بدأت هذه القبائل تتخوف على أوضاعها فأخذ زعماؤها يتصلون بالإمام عبدالرحمن ليخلصهم من محنتهم. وفي هذا المجال ذكر المقيم البريطاني في الخليج في رسالة إلى حكومة الهند بتاريخ ٢١ ذو القعدة ١٣١٨هـ/ ١١ مارس ١٩٠١م، أن شيوخ وأعيان عنيزة وبريدة والزلفي كتبوا إلى الإمام عبدالرحمن بن فيصل يشكون معاناتهم على يد ابن رشيد ويطلبون خروجه إليهم. ومن جهته أرسل الشيخ مبارك إليهم بعض أعيان هذه المناطق اللاجئين عنده هاربين من سلطة ابن رشيد يستحثونهم على مقاومة ابن رشيد.[١] وقد شجعت هذه الأحوال الإمام عبدالرحمن على القيام بحملات محدودة على العشائر التابعة لابن رشيد. ومن جهة أخرى كان الإمام عبدالرحمن يتابع أخبار بلاده وهو في الكويت ويعرف أوضاعهم ويتألم لما يصيبهم ولذلك كان مستعداً لعمل أي شيء يساعدهم على التغلب على تلك الأوضاع.[٢] ففي رسالة بعثها الإمام عبدالرحمن إلى رجب

---

(١) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٨ عن:

Kembal to Col., 11 mar. 1901, in Bidwel, (A.K.) vol., 1, part II, p. 27.

(٢) يوصف عبدالعزيز بن متعب بن رشيد بأنه كان فارساً مغواراً شجاعاً لا يهاب، قاسياً لا يرحم، واثقاً لا يتردد، شديد الغضب، سريعه، يحكم السيف قبل السياسة، والإقدام قبل الرأي، حقوداً، يشد عقاله فوق عينيه، وكوفيته على فمه، حتى سمي العبوس الملثم. وقد وصفه آخرون بأنه كان معروفاً بالظلم والقسوة والجور. وعندما تولى الإمارة بعد عمه محمد بن عبدالله كتب إلى بلدان نجد يخبرهم بأنه تولى الحكم وأنه ليس عنده إلا الحافر وصنع الكافر، أي الخيل والأسلحة النارية التي تأتي من الغرب مثل البنادق والمدافع. أما بلاد نجد خلال فترة حكمه فقد عانت اضطراباً شديداً في الأمن، وتدهوراً في الاقتصاد، وكثرة الضرائب، وضعف الاهتمام بأمور الدين التي من مظاهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك كره الناس حكمه وتمنوا زواله. والواقع أن لأسلوب عبدالعزيز بن رشيد في الحكم المتصف بالشدة الأثر الكبير في تنفير أكثر النجديين منه، وتهيئتهم للانضمام إلى من سيقف ضده. وفي غضون عشر سنين لم يستطع أن يحافظ على القسم الأكبر من الإرث الذي تولاه. وبعد أن ضم الملك عبدالعزيز بلاد جنوبي نجد قال رشيد رضا: إن جميع الأهالي يودون لو خلصت الإمارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم، وابن رشيد أجهل وأظلم. ويقول في مناسبة أخرى؛ ونعلم أن أكثر البلاد العربية (المقصود الجزيرة العربية) تخضع له وتبغض ابن رشيد. انظر: رضا، محمد رشيد، (١ جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ ٤ سبتمبر ١٩٠٢م)، **مجلة المنار**، مجلد ٥، ج١١، ص ٤٤٠؛ (١ شوال ١٣٢٢هـ/ ٨ ديسمبر ١٩٠٤م)، مجلد ٧، ج١٩، ص ٧٦٠. وللمزيد من المعلومات عن عبدالعزيز بن رشيد وصفاته وحكمه انظر: السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ٨، عن السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢١٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١١٩؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج١، ص ص ٣١٠-٣١١؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨؛ فاسليف، (١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ٢٤٢؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ =

النقيب في البصرة في شهر ربيع الآخر عام ١٣١٨هـ/ ديسمبر ١٩٠٠م، يخبره فيها بعزمه على الخروج إلى بلاد نجد، وذكّره بمواقف ابن رشيد وتعدياته على بلدان وعشائر نجد وظلمه إياهم دون وجه حق في ذلك، ثم قال: "وبمقتضى تعدياته وظلمه، أكثر علينا أهل نجد الإلحاح أن نتوجه لأجل استنقاذهم من يده وتوجهنا لذلك، فنرجو من فضلكم أن تسترحموا لنا حضرة والي ولاية البصرة أن يكتب لابن رشيد أن لا يتعرض لنا ولا يحرك أحداً من عشائره علينا حذراً من أن تقع فتنة قتل ومقتول وسفك دماء المسلمين وهو السبب في ذلك. . . "[1] ومن ضمن الخطوات التي قام بها في هذا المجال أنه غادر الكويت في شهر ربيع الآخر عام ١٣١٨هـ/ أغسطس ١٩٠٠م وقام، بتشجيع من بعض الأنصار داخل نجد، بحملة محدودة على عشائر قحطان الموالية لابن رشيد في روضة سدير وعاد ظافراً، ثم يضيف أنه لما اقترب من الكويت رجاه الشيخ مبارك بأن يتريث ولا يدخل الكويت، فعجب عبدالرحمن، لكن عجبه زال عندما علم أن الشيخ مبارك، في الوقت الذي أرسل فيه رسائل إلى رؤساء نجد يستنهضهم على ابن رشيد، أرسل أيضاً إلى ابن رشيد يفاوضه على الصلح، ومن حسن حظ الإمام عبدالرحمن أنه عاد قبل أن يعود جواب ابن رشيد على الصلح. يقول الزركلي "ولو جاء الجواب بقبول الصلح، لما وجد عبدالرحمن له مأوى في الكويت". [2]

وعندما جاء رد ابن رشيد رافضاً الصلح أدرك ابن صباح أنه لا مناص من الحرب وقد استعد لها بكل ما يملك. ومن الخطوات التي قام بها في هذا المجال أنه أطلع الإمام عبدالرحمن على خطته لمهاجمة ابن رشيد وطلب منه مرافقته. وتذكر بعض الروايات أن الإمام عبدالرحمن نصح الشيخ مبارك بتعديل

= Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p.114

لوريمر النسخة المعربة، ج ٣، ص ١٦٩٦. وانظر كذلك:

Musil, Alois, (1928), Northern Nejd, **American Geographical Society**, Oriental Explorations and Studies, No. 5, New York, p.238.

(١) الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٨.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٣. وانظر عن تحركات الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز:

Lorimer, J. G, (1986), op. cit. p. 1141.

لوريمر النسخة المعربة، ص ١٦٩٦- ١٦٩٧.

خطته لكنه أصرّ على قيامها، ولم تذكر هذه الروايات ماهية هذه الخطة. وعلى كل فإن الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز شاركا في هذه الحملة دعماً للشيخ مبارك الصباح مضيفهما من جهة، وللانتقام من ابن رشيد من جهة أخرى، بل إن بعض المصادر تذكر أن الشيخ مبارك عهد إلى الإمام عبدالرحمن بقيادة القسم الهام من قواته. استعد الشيخ مبارك لهذه الحملة فاستنفر القبائل الموالية له حيث استجابت له قبائل مطير، والعجمان، وآل مرة، والضفير، كما طلب مساعدة حلفائه مثل سعدون باشا رئيس عشائر المنتفق الذي جاءه بعشائر الشمال. كما كانت هذه الحملة تضم بعض زعماء القصيم السابقين المتواجدين في الكويت، ومنهم آل سُليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة، ثم زحف إلى نجد بعد أن بلغ جيشه حوالي عشرة آلاف مقاتل.[1]

وفي الطريق كانت الأحلام تراود الملك عبدالعزيز في استعادة عاصمة بلاده الحزينة التي طالما أشغلت تفكيره، حتى إذا وصل الشوكي، على بعد حوالي مائة وستين كيلاً شمال الرياض، قاده الحنين إلى الرياض بعد أن شم هواءها وتراءت له أزقتها الحزينة. وبعد الاتكال على الله قرر الملك عبدالعزيز أن يجرّب حظه ويحقق حلمه بدخول هذه المدينة التي طالما تغنى بماضيها القريب الذي جعلها عاصمة الدولة السعودية، وأهم مدينة في منطقة الرياض. وهنا تتفاوت الروايات في مسألة خروج الملك عبدالعزيز والطريقة التي خرج بها. ففي حين تذكر بعض الروايات أن هذه الفكرة كانت مدار نقاش على مستوى عال قبل أن يتحرك الجيش من الكويت، حيث يذكر سعود بن هذلول أنه "قبل زحف هذا الجيش العرمرم اتفق زعماؤه على أن يسير الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بثلة من الجنود نحو الرياض، وصالح بن حسن آل مهنا نحو بريدة بثلة من الجنود أيضاً، وكذلك ابن سليم أمير عنيزة، فإذا اشتبك ابن صباح مع ابن رشيد في القتال تمكنوا من استرجاع أوطانهم". ويؤيد هذا ما ذكره بدول من أن خطة الشيخ مبارك كانت تقضي بأن يفتح حواضر نجد كلها ويعين عليها أمراء من عنده، ثم يضيف أن هؤلاء الأمراء ساروا كل واحد منهم على قوة، فدخل الملك عبدالعزيز الرياض، ودخل آل مهنا بريدة، ودخل

---

(١) انظر عن هذه الحملة: السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ٧، عن السلمان، محمد ابن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢٠؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٥؛ بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ٦٣.

آل سليم عنيزة واشتبكوا في قتال مع حاميات ابن رشيد" .[١] وتذكر مصادر أخرى أن المبادرة جاءت من الملك عبدالعزيز حيث فاتح الشيخ مبارك برغبته في الاتجاه إلى الرياض وبين له جدواها التي ستجعل ابن رشيد يضطر للقتال في جبهتين مختلفتين فتتشتت قواته، ولذلك وافق الشيخ مبارك على هذه الفكرة، فانفصل الملك عبدالعزيز عن جيش مبارك بقوة صغيرة واتجه إلى الرياض. ومن جهة أخرى يذكر الريحاني أن الملك عبدالعزيز أخذ قوة تقدر بألف رجل من البادية إلى الرياض، وهو عدد قد يكون أكثر من العدد الفعلي، لأن الملك عبدالعزيز لم يكن في تخطيطه في هذا الوقت استعادة الرياض وإنما كان يريد الاستطلاع ومعرفة مدى إمكانية قيامه بحملة تحقق هذا الهدف. ومع وجاهة هذا التفكير في هذه الظروف بالذات وأن هذه فرصة لا يحسن تضييعها، تذكر بعض الروايات أن الملك عبدالعزيز كان يشك في مقدرة الشيخ مبارك على إحراز نصر عسكري على ابن رشيد، ولذلك لم يرض أن يخاطر بسمعته وبأقاربه من آل سعود في المشاركة في معركة خاسرة لا يستطيعون بعدها الإفلات من عقاب ابن رشيد، وقد كانت فكرة الانفصال عن جيش الشيخ مبارك فرصة له للخروج من هذا المأزق. وفي هذا المجال يقول أمين سعيد "ولاحظ الفتى بعد أن مشت الحملة وأوغلت في أراضي نجد أنها تتألف من أمشاج وأخلاط، تنقصها وحدة الغاية، ووحدة الهدف، ولا نجاح لجيش إذا فقدهما، كما لاحظ أن المزايا العسكرية التي يجب أن تتوافر في القادة العسكريين تكاد تكون معدومة عند الشيخ مبارك"[٢] ويؤيد هذا ما ذُكر سابقاً من أن الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز طلبا من الشيخ مبارك تعديل خطة الحملة لكنه لم يوافق. وفي الواقع فإنه لا تعارض بين الرغبتين، بل إن تنفيذ هذه الفكرة يسير أيضاً في صالح الشيخ مبارك الصباح لأنها ستشغل ابن رشيد وتعرقل خططه، ولذلك فإنه سواء نوقشت هذه الفكرة قبل

---

(١) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥١؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ٦٩ نقلاً عن:

Bidwell, Robin, (1971), The Affairs of Kuweit 1896-1905, Foreign Office Confidential print, vol. 1., part III, London, p. 24.

ويذكر ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**، وزارة المعارف، الرياض، ص ٩١: أن آل مهنا وآل سليم تمكنوا من استرجاع بلادهم فأقبل عليهم ابن رشيد فساروا من بريدة للقائه فالتقوا في الطرفية، وبعد هزيمة ابن صباح عادوا إلى الكويت.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٨؛ سعيد، أمين، (د. ت.)، **تاريخ الدولة السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ج٢، ص٢١.

خروج الجيش، أم أن الملك عبدالعزيز عرض الفكرة على الشيخ مبارك واستأذنه فأذن له وشجعه على القيام بها، فإن العبرة بنتيجة الأعمال. وهكذا يمكن الجمع بين الروايات.

وأياً كان المبرر والطريقة التي قادت الملك عبدالعزيز إلى الرياض، فإن ما يهمنا هنا هو أن الملك عبدالعزيز، من شدة حنينه للرياض، وصلها خلال يومين رغم بُعد المسافة. وبعد قتال مع حاميتها استطاع دخولها دون عناء حيث سبق أن قام محمد بن عبدالله بن رشيد بتهديم أكثر أسوارها عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م. وكانت الخطوة التالية هي محاصرة عامل ابن رشيد، عبدالرحمن بن ضبعان، في قلعة قصر المصمك التي بنيت لكي يحتمي بها رجال الحامية.[١] وقد استمر محاصراً لها أربعين يوماً فاستعصت عليه، حتى إنه عزم على حفر نفق تحت قصر المصمك، بل إنه بدأ بحفره حتى كاد القصر أن يسقط، وقيل إنه عزم على فتح ثقب في جداره ليتمكن من الدخول، وهي خطوة نحو انتزاع الرياض من حكم ابن رشيد.[٢]

---

(١) ويذكر بعض المؤرخين أن عامل ابن رشيد على الرياض في المحاولة الأولى لاستعادة الرياض كان عجلان بن محمد العجلان الذي كان عاملاً عليها في المحاولة الثانية. أما لفظ المصمك فيروى بالصاد لإحكامه، ويروى المسمك بالسين لسماكة جدرانه الجانبية، ورغم أن الثانية أصوب وأقرب معنى لوصفه، لكن الأولى أشهر. ويقال إن لفظ المصمك تحريف من العامة للمسمك. ومن ضمن أسمائه القلعة والحصن. وهو قصر حصين محكم الإغلاق من جميع جوانبه، جدرانه مرتفعة. وهو مبني بالحجر والطين، وله أربعة أبراج كبيرة في جوانبه الأربعة، وبوابة كبيرة بها خوخة. وهو يمثل الطابع الحربي وفن العمارة المنتشرة في منطقة الرياض في تلك الفترة. وتذكر بعض المصادر والمراجع أن أول من بناه الإمام عبدالله بن فيصل عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، حيث اتخذه أولاً سكناً له ولأسرته، ثم اتخذه مقراً للحكم. وقد حل هذا القصر محل قصر دهام بن دواس الذي كان مقراً للحكم قبل بناء المصمك. ويروى على لسان الملك عبدالعزيز أن الذي بنى هذا الحصن هو محمد بن عبدالله بن رشيد على أنقاض قصر الإمام عبدالله، حيث هدمه ابن رشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمصمك. ولمزيد من المعلومات عن وصف هذا القصر، وتاريخ بنائه وما قيل فيه من روايات، والأحداث التي شهدها راجع: الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٢١٩-٢٣٦. وانظر كذلك: ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٤٨؛ ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، معجم اليمامة، ج٢، ص ٣٧٢؛ الجاسر، حمد (١٣٨٦)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص ١٠٨؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ص ص ٩٦-١٠٠.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١١٩؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥١؛ عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٣٣.

وفجأة غيّر الملك عبدالعزيز استراتيجيته وترك الرياض بعد أن جاءته رسالة عاجلة من والده وهو في طريق عودته إلى الكويت يطلب منه فك حصاره للحامية والعودة إلى الكويت.[١] وقد جاء هذا التطور في استراتيجية الملك عبدالعزيز بعد هزيمة جيش الشيخ مبارك شيخ الكويت والمتحالفين معه في معركة الصريف في القصيم أمام قوات ابن رشيد في ٢٧ ذي القعدة ١٣١٨هـ، الموافق ١٧ مارس ١٩٠١م، وعاد الملك عبدالعزيز أدراجه إلى الكويت بعد أربعة أشهر من وصوله إلى الرياض.[٢] ورغم تمكنه من

---

(١) السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط)، مصدر سابق، ص ٧، ٨، عن السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢١.

(٢) تعرف هذه الموقعة بمعركة الطرفية الأولى أو موقعة الصريف. فالطرفية قرية، والصريف ماء، والمسافة بينهما ساعة ونصف، وقد نزل ابن صباح على الطرفية بينما نزل ابن رشيد على الصريف، ثم سار لمقابلة ابن صباح فكانت الواقعة بين الماء والقرية وبذلك كانت تسمى بهذين الاسمين. انظر: الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ٥٨. وقد كان النصر في هذه المعركة حليف ابن رشيد في حرب لم تدم أكثر من ثلاث ساعات قتل فيها حمود أخو مبارك الصباح وابن أخيه خليفة بن عبدالله وعدد كبير من أهل الكويت. وبعدها انتقم ابن رشيد من كل من ساعد ابن صباح من أهل نجد في هذه المعركة. وعلل المؤرخ عبد العزيز الرشيد، (١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٤، السبب في هزيمة مبارك الصباح إلى إعجابه بنفسه، وإلى أن أكثر جيشه كان خليطاً من البدو وغيرهم وأغلبهم يقاتلون بدافع الطمع بالمال، ومن الأسباب كذلك أن جيش ابن رشيد كان يقاتل في أرض معروفة لديه، بالإضافة إلى خطة الهجوم المباغت التي استخدمها ابن رشيد ضد جيش مبارك الصباح. ومن الأسباب كذلك انخداع مبارك بعد وصوله إلى القصيم بمن قال له إن ابن رشيد ضعيف، وأن جيشه مفكك وأنهم بدأوا يتفلتون من يديه مما جعل الشيخ مبارك يأذن لمن أراد أن يذهب من جيشه. ويذكر لوريمر Lorimer, J.G. (1986), op. cit. p. 1143. النسخة المعربة، ص ١٦٩٨، أن النجاح الجزئي (ربما كان يقصد تمكن الملك عبدالعزيز من دخول الرياض) الذي أحرزه الحلفاء المعادون لابن رشيد، قد أفزعه فزعاً شديداً، فحاول في شهر مايو من عام ١٩٠١م عن طريق وكيل له في البصرة، طلب حماية الحكومة البريطانية. وهناك آراء متفاوته حول تاريخ هذه الوقعة أقربها إلى الصحة ما دون في المتن. وللمزيد من المعلومات عن هذه الوقعة راجع: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٤-٢٠٥؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص ١١٦-١١٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٧٦، ١١٩-١٢٠؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٩١؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٢؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٥٢-٥٨؛ إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ص١٧٢-١٧٣. وهناك تحليل لكثير من الروايات التي وردت في بعض المصادر والمراجع يحسن الرجوع إليها في: الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة دار الأصالة، الرياض، ص ص١٢٠-١٩٥. وهناك تحليل للأسباب المفترضة لخروج الشيخ مبارك بحملته على نجد في: =

السيطرة عليها، إلا أنه قرر الانسحاب، وهو قرار حكيم أملته فطنة القيادة البصيرة لدى الملك عبدالعزيز بدلاً من نزعة المجازفة التي تتحكّم عادة في ردة فعل المنتصرين. لقد أدرك الملك عبدالعزيز أن الانسحاب في هذا الوقت يعتبر نصراً تكتيكياً رغم ما يظهر أنه تراجع وهزيمة. ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الأخبار بأن غضبة ابن رشيد المنتصر تحولت إلى الانتقام من بقايا حملة الشيخ مبارك بقتل جميع الأسرى، كما شملت التنكيل برؤساء البلاد النجدية التي ساعدت جيش مبارك، ثم استولى ابن رشيد على جميع الأسلحة التي يملكونها، وفرض عليهم الضرائب الباهظة عقاباً لهم على موقفهم، وهو، بلا شك، سينتقم لعامله على الرياض.[1] بل إن بنواميشان يذكر أن ابن رشيد أضرم النار في القرى والواحات، وشنق مائة وثمانين رجلاً من أهل بريدة.[2] وهنا تظهر حنكة الملك عبدالعزيز وتقديره للأمور عندما انسحب من الرياض مختاراً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل كان الملك عبدالعزيز متيقناً من هزيمة ابن رشيد أمام قوة الشيخ مبارك الصباح مما جعله يستبق الأحداث ويتجه إلى الرياض؟. الإجابة المؤكدة قد تكون صعبة في ظل غياب الحقائق التي تبيّن ما كان يدور في ذهن الملك عبدالعزيز. ولتحليل هذا الموقف من خلال مجريات الأحداث فإنه من المستبعد أن يربط الملك عبدالعزيز، الذي بدأت علامات النجابة تظهر عليه مبكراً، مصيره بنتيجة حملة مبارك الذي سيلاقي ابن رشيد، الخصم العنيد القوي الذي يقاتل بين قومه. وما يمكن أن يستشف من هذا الموقف هو أن الملك عبدالعزيز لم يكن يقصد استرجاع الرياض في هذا الوقت بالذات لأنه يعتقد أن الوقت غير مناسب الآن، ولكي تتضح نتيجة حملة الشيخ مبارك ضد ابن رشيد. والواقع أن الملك عبدالعزيز أراد بحملته على الرياض سبر غورها، ومعرفة مدى قوتها، وتذكير أهلها بأنه ما زال على العهد الذي ربط بين أسرته

= الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٤؛ التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، **لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز دراسة وثائقية**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ص ٧٢، هامش ١. أما عن التحليل العسكري للمحاولة الأولى لاستعادته الرياض فراجع: رحمو، محمد إبراهيم، (١٤٠٢هـ)، **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٢٤، ٤٥-٥٦.

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٩؛ العُبَيّد، محمد العلي، (ت ١٣٩٩هـ) **النجم اللامع للنوادر جامع، أخبار وأشعار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر**، صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، ص ٤٢؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٩.

(٢) بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ٦٤.

وأهل نجد. ومن غير توقع منه وجد أبوابها مفتوحة حيث دخلها بدون مقاومة تذكر. لكن هذه التجربة فتحت أبواب الأمل على مصراعيها أمامه للعودة إلى الرياض عندما تحين الفرصة، وقد عبّر عن هذا الشعور بقصيدة قال في أحد أبياتها: (١)

يـــادارنـــــا لا تـــرهـــبـــــين أعـطـيـك أنـا الـعـلـم الـيـــــــقـين

لا بـد مـــــــا نـرجـع عـلـيـك لـو نـنـتـــــــحي لازم نجـــــيك

وبالتأكيد فإن هذه التجربة التي خاضها الملك عبدالعزيز على محدوديتها، وقصر المدة التي قضاها محاصراً لقلعة المصمك كانت ثرية بالمعطيات التي تخدم هدفه الذي ما انفك يفكر فيه ليلاً ونهاراً، وهو استعادة ملك آبائه وأجداده. لقد عرف من خلال هذه التجربة الكثير من أوضاع الرياض بعد عشر سنوات من خروجه مع والده وأسرته منها، كما عرف شعور أهلها ووفاءهم ومدى تعلقهم بالحكم السعودي، كما عرف مدى ضيقهم من حكم ابن رشيد، وهي بلا شك معلومات ومعطيات شجعته على التخطيط والتفكير في محاولة جديدة لاستعادة الرياض. لقد كانت الفترة التي قضاها مسيطراً على الرياض، باستثناء القلعة، كانت فترة كافية لاستثارة مكامن الزعامة في نفسه، كما كانت تدريباً عملياً على ممارسة الحكم وقيادة الجيوش. (٢) ومن جهة أخرى فإن مجرد محاولة الملك عبدالعزيز استعادة الرياض تعتبر بارقة أمل ظلت كامنة في نفوس المؤيدين لعودة الحكم السعودي، وكانت على وشك أن تخبو لولا أن قيض الله الملك عبدالعزيز ليحيي هذه الجذوة ويجعل منها ملحمة عظيمة ما زالت آثارها الخيرة وافرة الظلال حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - إن شاء الله - وكما يروى في الأمثال "رب ضارة نافعة"، فإن ما قام به عبدالعزيز بن متعب بن رشيد من معاملة قاسية لأهل نجد عموماً، وأهل الرياض خصوصاً، بعد انسحاب الملك عبدالعزيز منها نتيجة لهزيمة الشيخ مبارك في موقعة الصريف كما أوضحنا، كان سبباً فيما أبداه هؤلاء السكان للملك عبدالعزيز من مشاعر الود والتعاون، وكانت من العوامل التي ساعدته في محاولته الثانية لاستعادة الرياض كما سنرى.

---

(١) الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ٧٠.

المبحث الثاني

استعادة الرياض ومرحلة تكوين الدولة

لا شك أن عملية استعادة الرياض تعتبر من الأحداث المهمة التي غيرت مجرى التاريخ في شبه الجزيرة العربية، بل وفي العالم العربي والإسلامي. وحيث إن هذا الكتاب يؤرخ لمنطقة الرياض في عهد الدولة السعودية المعاصرة التي بدأت باستعادة الرياض، فسيتم التركيز بشيء من التفصيل على هذه الملحمة العظيمة، لأن فيها كثيراً من العبر والمواقف السياسية والعسكرية والإنسانية التي يمكن أن تضيف جديداً لما روته مصادر التاريخ عنها.

وفي الواقع فإنه على الرغم من ترك الملك عبدالعزيز الرياض بعد أن تمكن منها في محاولته الأولى لاستعادة ملك آبائه وأجداده، إلا أن تلك المحاولة، وما حصل فيها من نجاح نوعي، يعتبر بحد ذاته دافعاً قوياً له للقيام بعملية منظمة ومدروسة لاستعادة الرياض وإقامة الدولة السعودية من جديد. ومن أهم الصفات التي تميز بها الملك عبدالعزيز هي عدم اليأس رغم ما عاناه خلال طفولته وبداية شبابه من التنقل خارج بلاده. إن صفة الصبر وعدم اليأس لا تتحقق لكثير من الناس في الأمور العادية فما بالك بشخص ضاع ملك آبائه أمام ناظريه، وبأسباب داخلية وخارجية ليس من السهولة إعادة نصابها.

وإذا عدنا إلى الوراء قبل مئتين وخمسين سنة، عندما بدأ الأمير محمد بن سعود تأسيس الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، نجد أن الجزيرة العربية كانت مقسمة إلى وحدات سياسية، وبلاد نجد مقسمة إلى إمارات صغيرة متناحرة ومع ذلك استغرق توحيدها جهداً ووقتاً ليس بالهين. أما في هذا الوقت الذي بدأ فيه الملك عبدالعزيز التطلع إلى استعادة ملك آبائه وأجداده، فإن المطلع على الخريطة السياسية للجزيرة العربية في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ بداية القرن العشرين الميلادي يدرك أن شبه الجزيرة العربية عادت مقسمة إلى وحدات سياسية لا رابطة بينها، سادتها عداوة مستحكمة، ولا شك أن إعادة توحيدها أشبه بالمستحيل؛ بسبب قوة الكيانات السياسية التي من أهمها: آل الرشيد في نجد، والأتراك في الأحساء، والأشراف في الحجاز، وآل عائض في عسير الشمالية، والأدارسة في المخلاف السليماني، واليمن تحت حكم الإمام يحيى حميد الدين. ليس هذا فحسب بل استجد عامل جديد وهو وجود نفوذ مباشر لقوى سياسية دولية، فالأحساء وعسير كانتا تحت الحكم

العثماني المباشر، وعدن وعمان وإمارات الخليج كانت تحت النفوذ البريطاني، بالإضافة إلى أطماع دول عديدة في الشرق والغرب في هذه المنطقة. هذا الوضع كان كافياً لمعرفة مدى الصعوبة التي تنتظر الملك عبدالعزيز في محاولته لاستعادة كيان الدولة بسبب تشابك المصالح والنفوذ.

وبعد محاولته الأولى لاستعادة الرياض أقام الملك عبدالعزيز مع والده في الكويت مرة أخرى لا يعلم إلا الله متى ستنتهي. والواقع أن إقامتهما هذه المرة اختلفت عن سابقتها بدخول عامل جديد، هو تفكير الملك عبدالعزيز الجدي في القيام بمحاولة ثانية لاستعادة ملك آبائه وأجداده، لكن تنفيذ هذه الفكرة مرتبط بأطراف ثلاثة هو واحد منهم، أما الثاني فهو والده الإمام عبدالرحمن، والثالث الشيخ مبارك الصباح الذي لا يمكن للملك عبدالعزيز التحرك بدون دعمه المعنوي والمادي. فبالنسبة له كان النجاح النسبي الذي تحقق في محاولته الأولى لاستعادة الرياض باعتبارها كانت أول تجربة عملية، قد زاد من قناعته بإمكانية نجاحه في القيام بمحاولة أخرى في المستقبل القريب. ومن جهة أخرى، كانت مشاعر أهل نجد ومساعيهم لم تتوقف في إقناع الإمام عبدالرحمن كما رأينا سابقاً، أو ابنه عبدالعزيز عندما أظهر حماساً منقطع النظير أمام الشيخ مبارك لاستعادة حكم آبائه وأجداده في نجد. ويذكر الشيخ خزعل في هذا الصدد أن الملك عبدالعزيز كان يطلع الشيخ مبارك على الرسائل التي كانت تصله من زعماء بلاد نجد ووجهائها، وعلى الأخص رسائل آل الشيخ الذين كانوا يحثونه على استرجاع مجد آبائه، ويخبرونه بأن أهالي نجد كلهم يؤيدون آل سعود، وكانوا يتمنون اليوم الذي ينهضون فيه لاستعادة ملكهم وتخليصهم من الذل والهوان الذي لاقوه من آل الرشيد.[1] وكان لكبرى شقيقات الملك عبدالعزيز، نورة، فضل في تشجيعه، وحثه على عدم النظر إلى الوراء والندم على ما فات، وكانت تقول: إن كانت خطته الأولى والثانية لم تنجح فإن الظفر سيكون حليفه في المرة الثالثة إن شاء الله، ولم تنس أن تنصحه بالتطلع لمعالي الأمور وعدم الخلود للراحة بين الأهل، وتوطين النفس لمجابهة الأمور الصعبة، لأن الرجال لم يخلقوا للراحة، بل كان قدرهم تحمل المشاق والتعب ليطمئنوا هم ويهنأ أتباعهم.[2] والواقع أن الملك عبدالعزيز كان دائم التفكير في العودة إلى بلاده وكيفية تخليصها من

---

(١) خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٨. ونورة هي الأخت الشقيقة للملك عبدالعزيز، كان ينتخي بها في الحرب حيث يقول "أنا أخو نورة". ويضيف أنها كانت أقرب الناس إليه وكانت تساعده في تذليل=

مغتصبي الحكم فيها، وقد نظم هذه الأحاسيس في أبيات من الشعر قال فيها: (١)

يا نجـــد مـــا جـــانا منك رد علوم　　واليـــوم أنـا شـــفـق عـلـى المسـنـاد

قـــالوا مـريح قـلـت أنا المهـــمـــوم　　حـتـى نـقـرر لـلـنـضـا مـيـعـاد

نركب عـلى اللي نيـــهن مـــردوم　　وان روحن مـــثل القطا الشـــراد

وبالنسبة لوالده، الإمام عبدالرحمن بن فيصل، فقد كان يرى أن الظروف لم تكن مناسبة للقيام بمثل هذا التحرك الذي قد يؤدي إلى نتائج عكسية له وللأسرة السعودية التي عانت كثيراً خلال السنوات الماضية من التنقل في بلاد عديدة، بالإضافة إلى العيش في الصحراء. كانت معركة الصريف التي هزم فيها ابن صباح مخيبة لآماله فأصبح أكثر حذراً في مواجهة ابن رشيد، ولهذا فإنه عندما عرض عليه ابنه عبدالعزيز فكرة القيام بمحاولة جديدة لاستعادة الرياض اعتبر ذلك ضرباً من الخيال. فبخبرته السياسية والحربية، باعتباره آخر حكام الدولة السعودية الثانية، أدرك الإمام عبدالرحمن مدى قوة حكم آل الرشيد في حائل حيث إنه إضطر شخصياً إلى التراجع أمام محمد بن عبدالله بن رشيد والإقامة في الكويت. أما الآن فإنه سيجابه عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي ضربت بقسوته وعنجهيته الأمثال، وأقربها معركة الصريف، وانتقامه من أهل نجد الذين ساعدوا الشيخ مبارك. ليس هذا فحسب، بل إنه يعرف أن انتصار ابن رشيد في معركة الصريف كان عاملاً إيجابياً في التمكين له؛ حيث زادت من غروره واعتزازه بنفسه، كما قوّت من عزيمة أتباعه. ولهذه الأسباب مجتمعة كان الإمام عبدالرحمن يرى أن الوقت غير مناسب لقيام ابنه بهذه المجازفة.

أما مبارك الصباح فإنه مع اقتناعه بصعوبة نجاح الملك عبدالعزيز بهذه المهمة، وخشيته من تكرار الهزيمة التي حلت بجيشه في معركة الصريف، لم يكن يميل شخصياً إلى مجازفة جديدة، لكنه وافق على قيام الملك عبدالعزيز بتنفيذ فكرته بعد إلحاح من الأخير، وأملاً بأن قيامها سيحقق مصالح له، فإما أن ينتصر عليه الملك عبدالعزيز فيقضي على خطره، أو على أقل تقدير فإن هذه الحملة، بغض النظر عن

= بعض المصاعب حتى في بيته، وكان يستشيرها في أمور الأسرة، ويزورها كل يوم حتى توفيت في شهر شعبان عام ١٣٦٩هـ/ يونيو ١٩٥٠م (بعد مرور خمسين سنة على استعادة الرياض).

(١) الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٤٤؛ المارك، فهد، ١٤٠٠هـ)، **من شيم الملك عبدالعزيز**، ج١، الرياض، ص ٨٢.

نتيجتها، ستؤدي إلى إشغال ابن رشيد عن مهاجمة الكويت، التي أجمعت الروايات على أنه كان يعتزم القيام بها انتقاماً من حملة ابن صباح التي دخلت نجداً لكنها فشلت في معركة الصريف. بل إن ابن صباح كان يأمل في أن محاولة الملك عبدالعزيز ستؤدي إلى أن يصرف ابن رشيد النظر عن مهاجمة الكويت نهائياً، وهذا ما حصل بالفعل. ولكل هذه الأسباب فإن الشيخ مبارك شجع الملك عبدالعزيز، وذلل له الصعاب، وبذل له المساعدات المادية والمعنوية كما سنرى.[١]

ومع مرور الأيام ازداد الملك عبدالعزيز قناعة بفكرته لكن كان عليه إقناع والده، وهي مهمة صعبة استخدم فيها كل الوسائل الممكنة بما فيها تدخل والدته رغم خوفها الشديد من نتائج فشلها. وتمضي الأيام والملك عبدالعزيز يزداد إصراراً على تنفيذ خطته، ووالده الإمام عبدالرحمن يزداد إعراضاً عن الاستجابة لمطلبه. ويروي يوسف ياسين عن الملك عبدالعزيز وصفه لجلسة مناقشة بينه وبين والده؛ حيث يقول لأبيه: "أنت بين خطتين، إما أن تأمر أحد عبيدك بانتزاع رأسي من بين كتفي فأستريح من هذه الحياة، وإما أن تنهض من توكّ فلا تخرج من منزل شيخ الكويت إلا بوعد في تسهيل خروجي للقتال في بطن نجد".[٢] ولم يجد الإمام عبدالرحمن أمام إصرار ابنه عبدالعزيز وتدخل والدته، رغم عاطفة الأمومة، إلا أن يوافق على مضض. وبعد أن نال الملك عبدالعزيز موافقة والده، طلب منه أن يقنع الشيخ مبارك الصباح بالموافقة على قيامه بجملة لاستعادة الرياض تنطلق من الكويت وبدعمه الشخصي، المادي والمعنوي. ويبدو أن مهمة إقناع الشيخ مبارك لم تكن صعبة رغم ما تنطوي عليها من محاذير سياسية، إذ إن ابن صباح وافق على الفكرة؛ لأنها ستحقق له مكاسب كما أسلفنا، فوافق على خطة الملك عبدالعزيز وزوده بأربعين ذلولاً، وثلاثين بندقية، ومئتي ريال، وبعض الزاد.[٣] يروي التويجري عن عبدالله الخنيزان، أحد مرافقي الملك عبدالعزيز في عملية استعادة الرياض، تحليل الملك عبدالعزيز لموقف الشيخ مبارك، وكذلك الدافع للملك عبدالعزيز لاستعادة الرياض قوله: "لما صرنا خارج سور الكويت أخذ الملك عبدالعزيز يحكي لنا، نحن رجاله، ما دار بينه وبين الشيخ مبارك، ومما

---

(١) فلبي، سنت جون، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٢٧٨؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدرر سابق، ص ٥٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، **معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ٤٢.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٧٩.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١٢١.

قاله: لعل الهزيمة التي حلت بوالدي الشيخ مبارك في القصيم في الموقع المسمى (بالصريف) على يد الأمير عبدالعزيز بن رشيد باقية في ذهنه، وهي هزيمة من حق الشيخ ألاّ ينساها. ومما قاله الشاب عبدالعزيز لنا: لقد استحيت أن أقول للشيخ مبارك: إن دورك غير دوري، إني صاحب الحق". [١] كانت هذه القناعة هي المحرك الذي كان يلازم الملك عبدالعزيز منذ ارتحاله مرغماً عن بلاده قبل عشر سنوات من ملحمة استعادة الرياض.

أصبحت كل الظروف مهيأة للملك عبدالعزيز للقيام بمغامرته فأسرع يجهز نفسه بالزاد والركائب والسلاح، ثم باختيار الرجال الذين سيساعدونه، وهي مهمة ليست سهلة؛ نظراً لبعد الشقة وما تنطوي عليه من مخاطر. أكمل الملك عبدالعزيز استعداداته المتواضعة التي اشتملت على أربعين ذلولاً، وثلاثين بندقية، ومئتي ريال، وقليل من الطعام كانت مساعدة من الشيخ مبارك. [٢] أما الرجال فقد اختار أربعين رجلاً من أقربائه، ومن الموالين لهم. وهنا قد يرد تساؤل عن مدى اقتناع الملك عبدالعزيز بنجاح مغامرته في ظل الظروف المحيطة به، ومنها استعداداته المتواضعة من جهة، وقوة ابن رشيد من جهة أخرى. وقبل الإجابة يجدر بنا أن نوضح أن المقصود بعبارة مغامرة ليس مفهومها السلبي الذي يوصف به من يقوم بعمل طائش محكوم على عمله بالفشل قبل أن يقوم به، وإنما المقصود بعبارة مغامرة أن الظروف لم تكن مهيأة للملك عبدالعزيز في ذلك الوقت نظراً لقلة الإمكانات التي استطاع تسخيرها، وللبعد المكاني للهدف المقصود، وأخيراً لأن الخصم قوي ومعنوياته مرتفعة، خصوصاً بعد انتصاره الأخير في معركة الصريف الذي أعطاه دفعة قوية لمجابهة جيش دولة فضلاً عن محاولة فردية. وأخيراً فإنه لا يمكن وصف محاولة الملك عبدالعزيز بأنها حملة؛ لأن مفهوم الحملة يعني الاستعداد الكبير بالرجال والعتاد.

أما الإجابة على التساؤل فيمكن استخلاصها من مجمل الظروف الشخصية والمكانية والزمانية المحيطة بالملك عبدالعزيز في ذلك الوقت. ولا شك أن الملك عبدالعزيز وضع لنفسه خطة عسكرية استراتيجية تتناسب مع أهمية المهمة التي ينوي القيام بها. [٣] وبداية، لابد من التأكيد على أن أهم

---

(١) التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١٢١. وقد ذكر ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص٥٣، أن عددها أربعين بندقية.

(٣) عن النواحي العسكرية والخطط الحربية والتكتيك العسكري الذي اتبعه الملك عبدالعزيز في عملية استعادة الرياض انظر: رحمو، محمد إبراهيم، (١٤٠٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٧-٦٣.

الأسباب التي جعلته يقتنع بتنفيذ فكرته هو إيمانه القوي بالله الذي هو عماده في كل الأحوال، وكان دائماً يتمثل قول الله تعالى ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]. ومنها أنه سيقوم بهذه المحاولة لغرض سام، وهو استعادة كيان الدولة السعودية التي قامت بتوحيد شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة مرهوبة الجانب بدلاً من حالة التمزق الذي عاشته هذه البلاد قبل قيام هذه الدولة منذ قرابة مئتين وخمسين عاماً، ثم عادت إليه من جديد بسقوط الدولة السعودية الثانية. ثم إن إقامة الملك عبدالعزيز هو ووالده في الكويت طالت عن الوقت الذي كانا يتوقعانه، ومع أن ابن صباح أحاطهما وأتباعهما بمظاهر الاحترام والتقدير والمساعدة إلا أن بقاءهما في الكويت لم يكن هو الهدف النهائي لهما، وإنما كان إقامة مؤقتة ينتظران خلالها الفرصة الملائمة للرجوع إلى بلادهم حاكمين لا محكومين. وفي هذه الظروف يتحدث الملك عبدالعزيز عن وضعه في الكويت وعن أهدافه الخاصة من استعادة الرياض، وعن خوف والده عليه. فذكر أنه لم يهدف من قيامه بهذه الحملة الاستزادة من المال، أو البذخ، أو التنعم بالدنيا؛ لأنه تعود على شظف العيش، لكن ما كان يعانيه هو الغربة عن بلاده، وشعوره بالذل؛ لأن الرياض بلده وبلد أجداده، ومن العار أن تبقى السيادة عليها لعدوه، وحاكماً في ذويه وعشائره. وبعد ذلك عاهد أصحابه على المسير معهم، وأن يكون في طليعتهم ليستقبل الطعن دونهم.

أما عن محدودية الاستعداد المادي، المتمثل في الرجال والسلاح ووسائل النقل، الذي تزود به الملك عبدالعزيز فقد كان مناسباً للمهمة التي ينوي القيام بها كما سيأتي تفصيله. والواقع أن الملك عبدالعزيز لم يقصد القيام بهجوم مكشوف ومجابهة عسكرية مع ابن رشيد وإنما كان ينوي القيام بمهمة محدودة في استعداداتها، لكنها عظيمة في أهدافها، كان يقصد من ورائها الدخول إلى داخل قصر المصمك والقبض على عامل ابن رشيد وإعلان استعادته الرياض. ولا شك أنه في عمله هذا يعلم، من خلال تجربته الأولى التي دخل فيها الرياض، أن هناك أنصاراً له سيرحبون به بمجرد تمكنه من الدخول إلى الرياض، وهو ما تم فعلاً كما سنرى لاحقاً. وغني عن القول إن تنفيذ خطة سرية ومصيرية مثل هذه تتطلب الحذر في كل شيء، ولا شك أن أولى واجبات الحذر عدم الظهور بشكل علني، وإبعاد الريبة، واستخدام أسلوب التمويه وهي عوامل اعتمد عليها الملك عبدالعزيز بعد الله فأدت إلى نجاح خطته.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٤٩.

ومن هنا يمكن الإجابة على التساؤل السابق لندرك أن قلة الاستعداد الذي تزود به الملك عبدالعزيز كان عاملاً إيجابياً ولم يكن سلبياً. ولعلنا لا نضيف جديداً إذا قلنا إن إيمان القائد وجنوده بالله ثم بعدالة وأهمية المهمة التي جاؤوا من أجلها، وكذلك الشجاعة والبسالة التي عرفوا بها، كانت بحد ذاتها أمضى من كثير من الأسلحة الكثيرة التي يحملها رجال تنقصهم الروح المعنوية؛ لأنهم يقاتلون لمصلحة غيرهم، ويذودون عن بلادٍ هم دخلاء عليها. ولا شك أن قيام الملك عبدالعزيز بحملة كبيرة لن تحقق النجاح المطلوب، بل قد تكون عاملاً سلبياً؛ لأن مدينة الرياض بعيدة جداً عن الكويت، وكثرة الجيش تحتاج إلى تموينات كثيرة، إضافة إلى صعوبة إخفاء مهمة هذا الجيش وبالتالي تنتفي السرية التي هي أهم عامل في مهمة الملك عبدالعزيز. أما عامل الزمان فكما ذكرنا سابقاً، يعتبر نجاح ابن رشيد في معركة الصريف، التي أدت إلى هزيمة ابن صباح، تأكيداً على مدى قوته، وحيث إن التجارب تقاس ببعضها فإن قيام حملة كبيرة مكشوفة من الكويت بقيادة الملك عبدالعزيز قد تواجه نفس المصير الذي لقيته حملة الشيخ مبارك، إضافة إلى أن ابن صباح لن يوافق على قيام مثل هذه الحملة لاعتبارات سياسية وعسكرية وأمنية تخصه شخصياً وتخص بلاده.

التحرك نحو الرياض:

ودّع الملك عبدالعزيز أباه في جو مفعم بالعاطفة حيث قال الأب: "ترى يا عبدالعزيز، ليس لي قصد في أن أقف في سبيل إقدامك. ولكن، كما ترى، موقفنا وحالنا يقضيان باستعمال الحكمة في إدارة أمرنا. أما وقد عزمت، فأسأل الله لك العون والظفر". قال الرواي: "وبدرت دمعة من عين الأب، كانت أثمن ما حمله قلب الابن في سيره إلى المعركة التي خرج من أجلها".[1] تحرك الملك عبدالعزيز من الكويت في شهر ربيع الثاني عام ١٣١٩هـ/ يوليو ١٩٠١م، متخذاً طريق الصحراء تمشياً مع خطته السرية.[2] وخلال الفترة بين هذا التاريخ وتاريخ مغادرته صحراء الجافورة متجهاً إلى

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٠. والمقصود بالراوي يوسف ياسين.

(٢) يرد اختلاف في بعض الكتب عن تاريخ مسير الملك عبدالعزيز إلى الرياض، هل هو في شهر ربيع الآخر، أم في شهر جمادى الآخرة أم في شهر رجب؟. ويترجح لدينا أن خروجه من الكويت كان في شهر ربيع الآخر لأنه أمضى فترة في الصحراء القريبة من الأحساء، قام خلالها ببعض الحملات المحدودة كما ذكرنا، ثم عاد إلى مقر إقامته استعداداً للقيام بمحاولته الثانية لاستعادة الرياض وذلك في آخر يوم من شهر رجب. ولمزيد من التفاصيل راجع: القاضي، إبراهيم بن محمد بن عبدالله، (ت ١٣٤٦هـ)، **مخطوط تاريخ القاضي**، ص ٩؛ الزركلي، خير الدين، =

الرياض، ومن أجل التمويه على عدوه، أخذ الملك عبدالعزيز يقوم ببعض الحملات المحدودة التي كان يرمي من ورائها إلى محاولة إقناع بعض القبائل والعشائر الموالية له أو المحايدة، على تأييده في هذه المرحلة. يقول بنواميشان عن هدف الملك عبدالعزيز من هذه الحملات الصغيرة: "لم يكن عبدالعزيز بالطبع، قرصاناً، ولا غازياً، ولا كان هدفه الإثراء وجمع المال، بل كان يرمي إلى إثارة الحماسة والشعور في أهل نجد، وإلى إثبات وجوده بين ظهرانيهم قبل أن يدعوهم للانضمام إليه". (١) وقد نجح الملك عبدالعزيز من خلال تطبيق هذه الخطة بتحقيق هدفين:

الأول: مادي وهو انضمام عدد كبير من المقاتلين من عشائر آل مرة، وسبيع، والسهول والعامة من قبيلة العجمان رغم تردد رؤسائهم. وفي نهاية المطاف بلغ عدد رجال حملته حوالي ألف رجل على الإبل وأربعمائة فارس، كما أنه خلال هذا الوقت استطاع أن يكفي حاجة جيشه الصغير من المؤن حيث كان يتزود من الأحساء. وتذكر بعض الروايات أن النشاط العسكري للملك عبدالعزيز في هذا الوقت ازداد قوة، وأخذ عدة اتجاهات حيث كان منطلق حملاته الأحساء، وقد وصل في بعض حملاته إلى العرض في عالية نجد حيث توجد هناك قبائل قحطان وعتيبة الموالية لابن رشيد. وفي حملة ثانية توغل في بلاد نجد وقصد جماعة من قحطان في عشيرة من جهات سدير. وقد ازداد عدد جيشه من جراء هذه الحملات حتى وصل إلى ألف وخمسمائة ذلول وستمائة خيال. (٢)

الثاني: معنوي، وهو التمويه بأن أهدافه العسكرية محدودة وترمي إلى معاقبة القبائل المعادية له، وهذا بالتالي يدخل الطمأنينة على قلب ابن رشيد والإيحاء له بأن تحركاته تدخل في ظل هذه الاستراتيجية ولن تصل إلى حد مهاجمة الرياض. ومع ذلك فإن ابن رشيد أوجس خيفة من تلك التحركات مما دعاه إلى أن يطلب من الدولة العثمانية، الحليف الاستراتيجي له، التدخل من أجل منع الملك عبدالعزيز من القيام بهذه الحملات، أو حتى التمون من الأحساء، كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

= (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص٨٣؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠؛ فلبي، سنت جون، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ٢٧٨؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ص ٧٠-٧٢؛ خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٤.

(١) بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، مصدر سابق، ص ٧١.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ١٢٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٨٠-٨١.

وفي تحرك الملك عبدالعزيز بهذه الصورة ربما قال المشفقون عليه لماذا لم يخرج متخفياً عن العيون، وقد أجاب الملك عبدالعزيز نفسه عن هذا التساؤل لأحد رفاقه بقوله "لقد قال لي بعض رجالي مثل ذلك فرفضت، فأنا لم أكن رجل ظلام، ما أردت إلا أن يراني أعدائي وغير أعدائي على ما أنا عليه". (١)

ومع أن هذه التحركات لم تكن هدفاً بحد ذاتها إلا أن هذا الإجراء فتح أعين ابن رشيد، والدولة العثمانية من خلال متصرفها في الأحساء على تحركات الملك عبدالعزيز التي كان يخطط لاستثمارها من أجل العمل المهم وهو استعادة الرياض. أما ابن رشيد فقد عاد بجيشه إلى الحفر وبدأ يفكر في العمل لصد هجمات الملك عبدالعزيز، ولم يكتف بذلك بل أرسل رسولاً إلى الشيخ قاسم بن ثاني شيخ قطر يستنجد به ضد ابن سعود، كما أرسل إلى الوالي العثماني في البصرة لكي تتدخل الدولة العثمانية لدى حاكم الأحساء لوقف نشاط الملك عبدالعزيز. (٢) وحيث إن الدولة العثمانية لم يكن لديها خلفية واضحة عن طبيعة تحركات الملك عبدالعزيز وأهدافه، خصوصاً وقد سبق له أن قاد فرقة من جيش ابن صباح ودخل الرياض في العام الماضي كما أوضحنا، ولهذا فإن الدولة العثمانية حرصت في هذه المرحلة على تتبع تحركاته والعمل في الوقت نفسه على تأمين سلامة ابن رشيد الحليف القوي لها في المنطقة. اتخذ موقف الدولة العثمانية عدة جوانب، الأول: إبلاغ الإمام عبدالرحمن بأن يمنع ابنه من الاشتراك، أو الدخول في أي عملية عسكرية تهدد ابن رشيد. الثاني: تكليف والي الأحساء بمراقبة تحركات الملك عبدالعزيز وتهديد الموالين له من العشائر المقيمة في المنطقة، ومنعه من التموين من الأحساء. الثالث: تهديد الإمام عبدالرحمن بقطع راتبه الذي تصرفه له الدولة العثمانية إذا لم يقم بثني ابنه عن أعماله الحربية ضد ابن رشيد. (٣) وهيهات أن يستجيب الملك عبدالعزيز لهذه المطالب التي يعتبرها تدخلاً في أعماله وتحركاته، وتمالؤاً مع ابن رشيد الذي سبق أن اغتصب الحكم من آل سعود ولم تقف الدولة بجانبهم كما تقف الآن بجانب عدوهم. ورغم أن الملك عبدالعزيز لم يكن ينتظر مساعدة الدولة العثمانية، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يتوقع منها هذا الموقف المتشدد من تحركاته البعيدة عن ابن رشيد. وقد ازداد إلحاح ابن رشيد على الدولة العثمانية، وعلى وجه الخصوص بعد أن قام الملك

---

(١) ذكر هذه الرواية عبدالله الخنيزان، أحد مرافقي الملك عبدالعزيز. انظر: التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٢؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٤.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨١.

عبدالعزيز بحملة ثالثة وصل بها إلى جنوبي نجد حيث توجد قبائل من الدواسر، ثم عاد إلى الأحساء.[١]

وعلى العموم فإن هذه الإجراءات أدت إلى نتائج سلبية بالنسبة لموقف الملك عبدالعزيز حيث امتنع عن تأييده كثير من البدو إما خوفاً من الدولة العثمانية وممثلها في الأحساء، أو خوفاً من ابن رشيد. بل إن كثيراً ممن انضموا إليه في السابق تخلو عنه بعد هذا التهديد، كما أن بعضهم تركوا الملك عبدالعزيز سعياً لطلب الكلأ لمواشيهم حيث إن فصل الشتاء، موسم الرعي، قد حلّ. وأياً كان السبب فقد تفرق عنه أكثر من ألف هجان ومائة خيال، لكنه لم يبال كثيراً لأنه لم يكن يركن، كما يقول الريحاني، إلا لرجاله الأربعين الأولين.[٢] ومما زاد الأمر صعوبة عليه أنه لم يعد يستطيع الحصول على تموين لأتباعه من الأحساء بسهولة بعد تدخل واليها بضغط من ابن رشيد وموافقة الدولة العثمانية، لكن هذه الإجراءات والتحديات لم تغير كثيراً من خطط الملك عبدالعزيز. أما بالنسبة للدولة العثمانية فإنها، مع فشل هذه الإجراءات، لم تيأس بل ضغطت على كل من الشيخ مبارك الصباح والإمام عبدالرحمن لكي يتخليا عن الملك عبدالعزيز، لكنها فشلت مرة أخرى في مسعاها. وعندما لم يستجب، أو بالأحرى لم يستطع، الإمام عبدالرحمن الوقوف أمام إصرار ابنه أو إقناعه بالعدول عن فكرته، نفذت الدولة العثمانية تهديدها وأوقفت المعاش الذي كانت تصرفه للإمام عبدالرحمن خلال إقامته في الكويت.[٣]

وكما أوضحنا سابقاً فإن الإمام عبدالرحمن، بغض النظر عن موقف الدولة العثمانية منه، لم يكن في قرارة نفسه مقتنعاً أصلاً من فكرة قيام ابنه عبدالعزيز بتنفيذ فكرته، والآن استجد عامل جديد عزز وجهة نظره وهو موقف الدولة العثمانية المعلن من تحركات الملك عبدالعزيز في صحاري الأحساء، فضلاً عن توجهه إلى الرياض الذي ربما لم تعلم به بعد. وإزاء هذا الوضع وأملاً في ثني الملك عبدالعزيز عن تنفيذ فكرته بعث إليه الإمام عبدالرحمن والشيخ مبارك رسولاً، وهو في الجافورة، يطلبان منه إلغاء فكرته والعودة إلى الكويت. وصل الرسول إلى مقر إقامة الملك عبدالعزيز في واحة يبرين في آخر يوم من شهر رجب عام ١٣١٩هـ/ ١٢أكتوبر ١٩٠١م وأخبره بطلب والده، وسلمه رسالة منه. ومع أن

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٣.

الملك عبدالعزيز لم يقتنع بإلغاء فكرته، إلا أنه لم يُرد أن يرغم أتباعه على المسير معه، خصوصاً وقد انفضّ عنه أغلب الذين انضموا إليه سابقاً ولم يبق معه سوى عشرين رجلاً، بالإضافة إلى أربعين رجلاً؟ من آل سعود والموالين لهم، الذين خرجوا معه أصلاً من الكويت.[١] ولهذا جمع هؤلاء الستين وأخبرهم بطلب والده، ثم قرأ عليهم رسالته التي تدعوهم إلى العودة، وبعد ذلك أعطاهم الملك عبدالعزيز الحرية المطلقة في اختيار ما يريدون، إما العودة إلى الكويت أو الذهاب معه إلى الرياض. وبعبارات مختارة بعناية تُلخّص همومه وطموحاته وحماسته، قال الملك عبدالعزيز لأتباعه: "لا أزيدكم علماً بما نحن فيه، وهذا كتاب والدي يدعونا للعودة إلى الكويت، قرأته عليكم. ومبارك ينصحنا بالعودة. أنتم أحرار فيما تختارون لأنفسكم. أما أنا فلن أعرّض نفسي لأكون موضع السخرية في أزقة الكويت. ومن أراد الراحة ولقاء أهله والنوم والشبع فإلى يساري، إلى يساري".[٢] لكن أتباعه كانوا قد وطّنوا أنفسهم على السير معه على السراء والضراء، ولذلك انحازوا سريعاً إلى يمينه معلنين استعدادهم للتضحية معه. وفي هذا الوقت كان رسول الإمام عبدالرحمن حاضراً المشهد المهيب الذي أراد منه الملك عبدالعزيز أن يعبّر عن عدم استجابة مطلب والده بالعودة لكن بطريقة وعبارات مهذبة احتراماً له وكأنه يقول له الجواب ما ترى لا ما تسمع. أما الجواب النهائي لطلب الإمام عبدالرحمن فلم يكن يحمل رفضاً لكنه وعدٌ بإتمام المهمة التي خرج من أجلها، حيث قال لرسول الإمام "سلّم على الإمام وخبره بما رأيت، واسأله أن يدعو لنا وقل له: موعدنا إن شاء الله في الرياض".[٣]

وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ١٣١٩هـ/ أوائل شهر يناير عام ١٩٠٢م غادر الملك عبدالعزيز واحة يبرين متوجهاً إلى الرياض يسير في الليل ويستريح في النهار حتى تنقطع أخباره عن ابن رشيد فيطمئن ويقوم بتسريح أتباعه الذين أوكل إليهم مهمة متابعة الملك عبدالعزيز وتعقب آثاره.[٤] هكذا انطلق الملك عبدالعزيز لهدفه رغم العقبات وقلة الرجال حيث لم يكن مجموع رجال المجموعة يتجاوز ستين رجلاً بما فيهم القائد. وفي هذا المجال يحسن أن نوضح ما يظهر في بعض الكتب

---

(١) انظر عن هذا الموضوع خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٨٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥١.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٣.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) سعيد، أمين، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤.

والأبحاث من اختلاف في هذا العدد هل هو ستين أم أربعين رجلاً. فعند تصفح الكتب التي تحدثت عن تاريخ الملك عبدالعزيز نجد أن هذا الاختلاف انحصر في هذين العددين. وفي الحقيقة فإن المتتبع لخطوات استعادة الرياض لا يجد اختلافاً، بل يمكن إرجاع هذا التباين إلى أسلوب رواية المناسبة أكثر من التباين في حقيقة الرقم. والواقع أن من ذكر أن عددهم ستين رجلاً فإنه يقصد بهم الأربعين الذين خرجوا مع الملك عبدالعزيز من الكويت والعشرين الذين انضموا إليه في الطريق كما أوضحنا سابقاً، ومن ذكر أن عددهم أربعين فإنه يقصد الذين خرجوا معه من الكويت دون من انضموا إليه في الطريق. وهناك احتمال آخر وهو أن المقصود بالأربعين الذين دخلوا حتى أسوار الرياض فيما بقي العشرون المتممون لهم قرب الرياض حتى تم للملك عبدالعزيز استعادة المدينة كما سيأتي تفصيله. ومهما كان عددهم، فإنه يشمل كل من رافق الملك عبدالعزيز منذ خروجه من الكويت، ومن انضم إليه في الطريق، ومن بقي في ضواحي الرياض ومن دخل معه حتى قصر المصمك. ولا شك أن كلاً منهم قد تحمل المشاق، وطول الطريق ومخاطره، والمغامرة والمجازفة بأنفسهم، ثم قام كل واحد منهم بالمهمة المنوطة به خير قيام حسب توجيه القائد، ويكفيهم فخراً أن أسماءهم ظلت محفورة في أذهان المؤرخين والمهتمين، وسيحفظها التاريخ في سجلاته إلى ما شاء الله.[١]

كانت الخطوة التالية هي التخطيط للوصول إلى الرياض ثم مهاجمتها، لكن كيف تم ذلك، وما هو الوقت الملائم، وكم كان العدد المناسب لتنفيذ هذه المهمة، وما هو الطريق الأنسب الذي سلكه؟. ولتنفيذ فكرته في استعادة الرياض وضع الملك عبدالعزيز خطة محكمة تدل على خبرته ومهارته الحربية حيث اعتمدت هذه الخطة على مراعاة عوامل متعددة منها الطريق الذي سيسلكه، والوقت المناسب من السنة واليوم، إضافة إلى عاملي السرية والسرعة. أما الطريق فقد راعى في اختياره أن يسلك طرقاً غير مألوفة كي لا يلتقي بقوات ابن رشيد، أو عيونه، أو المؤيدين له.[٢] كما كان من خطته أن يقسّم أصحابه

---

(١) قامت دارة الملك عبدالعزيز، باعتبارها الجهة الرسمية التي أوكل إليها حفظ وتوثيق تاريخ الملك عبدالعزيز، بالتحري عن عدد الرجال الذين رافقوا الملك عبدالعزيز في عملية استرداد الرياض، وذكر أسمائهم ونبذة عن كل شخص، وقد بلغ عددهم ثلاثة وستون شخصاً. انظر ملحق رقم (١) عن أسماء هؤلاء الرجال نقلاً عن: **المئوية**، تصدر عن الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، العدد الثالث، السبت ٢٢ رمضان ١٤١٩هـ/ ٩ يناير ١٩٩٩م، ص١.

(٢) قامت دارة الملك عبدالعزيز بتحقيق خط سير الملك عبدالعزيز من الكويت إلى الرياض، مع بيان القرى والأماكن التي مر عليها، وتوثيقها من مصادر مدونة، أو روايات شفهية.

إلى جماعات صغيرة حتى لا يثير انتباه من يصادفهم في الطريق، وأن يتكتّم على هدفه المنشود حتى لا يفسح المجال لابن رشيد أو أعوانه بمراقبته أو الهجوم عليه، وإذا اضطر إلى المجابهة فليكن على طريقة الكر والفر حتى تزداد قوته. كما كان من خطته معاقبة العشائر التي وقفت موقف العداء من والده عندما كان حاكماً للدولة السعودية الثانية بانضمامها إلى ابن رشيد، وكانت حتى هذا الوقت تؤيد ابن رشيد، وكذلك الهجوم على القبائل التي تنشد الكسب بانضمامها إلى من تكون له الغلبة. أما الوقت الملائم من السنة فقد فضّل الخروج في فصل الشتاء لاتقاء حر الشمس من جهة، ولأن فصل الشتاء هو موسم المراعي وفيه يكثر تواجد البدو الرحل وغيرهم في البراري، وبذلك لا يكون تواجده محل ريبة، كما أنه كان يسير بالليل ويستريح في النهار، وخصوصاً عندما قرب إلى الوصول إلى هدفه إمعاناً في التخفي. وفي وصوله إلى الرياض كان تخطيطه أن يصلها في أول الليل حتى لا ينكشف أمره، وفي آخر الليل يتجه إلى حيث يوجد عجلان، عامل ابن رشيد على الرياض. وفي كل خططه كان يعتمد على السرعة في اتخاذ المواقف، والحسم السريع للأمور، كما كان يحرص على حمل القليل من الطعام لتسهيل الحركة والسرعة في الوصول إلى هدفه، نظراً لإمكانية التزود من الطعام من القرى في الطريق. وباختصار فإن خطة الملك عبدالعزيز في استعادة الرياض اعتمدت على ثلاثة عناصر، السرية، والمباغتة والسرعة.

الوصول إلى الرياض:

إن من صفات القادة العظام الاستفادة من التجارب السابقة، وقد تمثل الملك عبدالعزيز هذه الصفات خير تمثيل. فالخبرة استفادها من تجربته الأولى التي من خلالها عرف الملك عبدالعزيز أن دخول الرياض ليس هو الأمر المهم لأنه سبق أن دخلها، لكن المهم بالإضافة إلى ذلك هو دخول القلعة التي تسيطر على المدينة، بل وفي أقرب فرصة لأن عامل الوقت ليس في صالحهم.

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الملحمة يجدر التنبيه إلى بعض الأمور المهمة التي كان لها تأثير مباشر وغير مباشر خلال محاولة الملك عبدالعزيز استرداد الرياض، منها: أن الرياض بعيدة جغرافياً عن حائل قاعدة ابن رشيد، وكان يقوم عليها عجلان بن محمد العجلان عاملاً من قبل أمير حائل.[1] ولهذا

(١) كان عجلان من ثقات عبدالعزيز بن رشيد، وهو من مولّدي حائل، ويوصف بالشجاعة لكن فيه غلظة. وقد ذاق منه أهالي الرياض المؤيدون لآل سعود الأمرين. يقول عنه العطار إنه "اختير للجلوس على كرسي إمارة الرياض ليُري=

السبب فإن أهميتها لن ترقى إلى أهمية حائل، وقد سهّل ذلك من مهمة الملك عبدالعزيز. والواقع أن الرياض، رغم أنها لم تعد في هذا الوقت عاصمة للدولة، إلا أنها بقيت على أهميتها من النواحي السياسية والعسكرية، ولهذا فإن استرداد الملك عبدالعزيز لها يعني له ولابن رشيد بداية إعادة الحكم السعودي من جديد. والأمر المهم هو أن الرياض ارتبطت تاريخياً بالأسرة السعودية منذ أن اتخذها الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية عاصمة لدولته، ولهذا فإن رصيد آل سعود من ولاء أهلها ما زال قائماً رغم خضوعها المؤقت لابن رشيد.

وكما ذكرنا سابقاً، كان أسلوب السرية والكتمان والتمويه هو الأسلوب الحربي الذي اعتمد عليه الملك عبدالعزيز بعد الله في عملية استرداد الرياض، وفي غيرها من الحملات التي قام بها لضم بقية بلاد نجد وغيرها كما سنرى لاحقاً. وتمشياً مع هذا الأسلوب كان أكثر أعوانه لا يعرفون الطريق الذي سيسلكه خلال وجهته إلى الرياض، ليس عدم ثقة بهم، بل حربياً معروفاً اقتنع به الملك عبدالعزيز وطبقه، حيث كان يخبر رفاقه بوجهته في الوقت والمكان المناسبين. ومن أجل ذلك أمضى شهر شعبان وعشرين يوماً من شهر رمضان في صحراء الربع الخالي، حتى أن أياً من رفاق الملك عبدالعزيز لا يدري أين كانوا كما يروي فؤاد حمزة. وعندما تجاوز نصف الطريق بين يبرين والرياض أخبر رفاقه بهدفه.(١) ومن ضمن خططه العسكرية الموفقة أنه حرص على الوصول إلى الرياض في أول الشهر عندما يكون القمر في أول أيامه فيسود الظلام أغلب الليل مما يمكنه من تنفيذ خطة الهجوم التي تعتمد على خفة الحركة وسرعة الوصول إلى الهدف. ويذكر الغلامي أن الملك عبدالعزيز طلب من أتباعه أن يلبسوا أحسن ما عندهم من اللباس، وقال لهم إما أن تكون هذه الثياب أكفاناً لكم، وإما أن تكون لباس العيد التي تلبسونها بين أهليكم. وفي ليلة العيد عام ١٣١٩هـ/ يناير ١٩٠٢م وصل إلى قرب الرياض في مكان يسمى أبو جفان على طريق الأحساء حيث قضى فيه أيام العيد، ثم تحرك نحو الرياض في ليلة

= أهلها بأس الحكام وبطشهم، ويذيقهم ألوان القهر والذل. وكان يقصد من ذلك إدخال الرعب إلى قلوبهم وقتل إحساسهم الحي، فأهان عزيزهم، وأفقر غنيهم، وأحال مغانيهم المأهولة بلاقع حتى لا تقوم لهم قائمة تمكنهم من استعادة الحكم وتخليص بلادهم من آل الرشيد". وبعد وقعة الصريف نقل ابن رشيد أميره في الرياض عبدالرحمن ابن ضبعان إلى بريدة وعين مكانه عجلان، كما بعث سالم بن سبهان إلى الرياض ليصادر أموال أهلها وينكل بهم. انظر: عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٦. وانظر عنه كذلك: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩٢؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٣.

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٢.

الثالث من شهر شوال.[١]

وفي اليوم الرابع من شهر شوال ١٣١٩هـ/ ١٤ يناير ١٩٠٢م، وصل الملك عبدالعزيز مع أتباعه إلى مشارف الرياض عند ضلع الشقيب[٢]. وهناك أبقى عشرين رجلاً من رفاقه منهم معضد بن خرصان، ومسلم بن مجفل، وعبد اللطيف المعشوق، وكلّفهم بحفظ متاع الحملة وعدة الجيش وأثقالها والإبل والخيل، ثم اتجه إلى الرياض في منتصف الليل مع الأربعين من جيشه.[٣] ولا شك أن الملك عبدالعزيز كان يحسب لكل خطوة حسابها خاصة أنه لم يكن بينه وبين أهل الرياض أي اتفاق بشأن هجومه عليها كما يروي الملك عبدالعزيز، وهو من الأمور الجوهرية في خطته. وبعد ذلك تتابعت خطط الملك عبدالعزيز الاستراتيجية في عملية دخول قصر المصمك، وقد بعث أمامه فارسين من رجاله هما صطام أبا الخيل وعبدالله بن جريس ليكشفا له الطريق ثم دخل الرياض عن طريق نخل العود من جهتها الشرقية فأبقى ثلاثة وثلاثين رجلاً من الأربعين الذين جاء بهم إلى أطراف الرياض في مكان يسمى الشمسية تحت قيادة أخيه محمد بن عبدالرحمن، وفي رواية أخرى أنه أبقى عشرة رجال فقط، لكن الرواية الأولى هي الراجحة.[٤] ومن الأمور المهمة التي تعكس مدى اهتمامه بجنوده وتقديره للأمور أنه قال لأتباعه الذين أبقاهم خارج الرياض إذا ارتفعت الشمس ولم يأتكم منا أحد فاذهبوا أنى شئتم فربما نكون قد قتلنا، وإن

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٨؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **البلاد العربية السعودية**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص٢٠؛ الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، **الملك الراشد**، دار اللواء، الرياض، ص ٢٣.

(٢) هو تل يقع في الجنوب الشرقي من مدينة الرياض، في شرق محطة سكة الحديد في المنطقة الواقعة شمال مصنع الأسمنت، حيث تقع هناك الآن حديقة تحمل اسم الملك عبدالعزيز كما تسمى حديقة المناخ. والشقيب شعيب يقع جنوبي الرياض على بعد مسيرة ساعة ونصف للراجل، أي على بعد حوالي عشرة كيلومترات منها، في أعلاه جبل يسمى أبي غارب استخدمه الملك عبدالعزيز في انطلاقة نحو الرياض. ومن هنا يرد اسمه أحياناً الشقيب نسبة إلى التل، أو الشعيب نسبة إلى المكان. وللمزيد من التفاصيل عن هذين المكانين انظر: ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٨؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ٨٩؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، المصدر السابق، ص ٥٥. والشمسية هو المكان المعروف بهذا الاسم حتى الآن والواقع بين دوار سمير أميس إلى ميدان وزارة التجارة، ومن عمائر الراجحي إلى خزان مياه الرياض.

كان الله قد أراد لنا الظفر على أعدائنا واستولينا على البلد فسأبعث لكم من يخبركم. قال هذا الكلام، كما يروي سعود بن هذلول، لحامل الراية عبداللطيف المعشوق مع العشرين الذين تركهم في الشقيب، بينما يذكر الزركلي أنه قال هذا الكلام لرفاقه الثلاثة والثلاثين الذين أبقاهم بقيادة أخيه محمد خارج أسوار الرياض مع اختلاف في عبارات الوصية عندما قال لهم "لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا لم يصل إليكم رسول منا غداً فأسرعوا بالنجاة، واعلموا بأننا قد استشهدنا في سبيل الله".[١] وحيث إن معنى هذه الروايات واحد وهو حرص الملك عبدالعزيز على أتباعه فإنه يحتمل أنه أعطى هذه التعليمات للمجموعتين. وإذا رجحنا أنه أعطاها للمجموعة الثانية فقط فلأن موقعهم أقرب لحامية ابن رشيد الموجودة في المصمك، ولذلك فإن تعرضهم للأذى أقوى احتمالاً، ولأن المجموعة الأولى يستطيعون معرفة النتيجة من المجموعة الثانية إذا انهزموا إليهم والله أعلم. وعلى العموم فقد دخل الملك عبدالعزيز إلى داخل سور الرياض مع الستة الذين ذكرهم بأسمائهم وهم عبدالعزيز، وعبد الله وفهد، ابنا جلوي ابن تركي، وناصر بن سعود، وخادمين هما المعشوق، وسبعان.[٢] وهكذا قسم الملك عبدالعزيز جيشه الصغير عدداً، القوي همة وتفان، إلى ثلاثة أقسام لكل قسم مهمة خاصة تتطلبها مرحلة من مراحل استعادة الرياض، ولم يبخل القائد عبدالعزيز بنفسه أو يكتفي بإصدار الأوامر بل كان على رأس الستة الذين سيتولون المهمة الصعبة والخطيرة، لأن هذا قدره وقد جاء من أجله مؤمناً بعون الله له.

كان الملك عبدالعزيز يعرف بعض المعلومات عن الرياض وأحيائها، وخاصة منطقة قصر الحكم

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٩؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص٥٥. ويذكر عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٥، صيغة أخرى لهذه الوصية بقوله "وقال لهم؛ اذا ارتفعت الشمس ولم يأتكم خبرنا فعودوا إلى الكويت وكونوا رسل النعي إلى أبي، واذا أكرمنا الله بالنصر فسأرسل إليكم فارساً يلوّح لكم بثوبه إشارة إلى الظفر وتأتوننا". ويذكر الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٣، صيغة أخرى لهذه الوصية عندما ودّع أصحابه المرابطين خارج الرياض قائلاً لهم؛ "لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد استودعنا الله حياتنا وإنا سندخل الرياض لنطرد عدونا منها أو نلاقي في تربتها منيتنا، فإذا سمعتم معمعة القتال في المدينة اسرعوا إلينا، أما إذا غربت شمس الغد ولم تسمعوا عنا شيئاً فإنا نكون في عداد الموتى، قد تولى الله نفوسنا برحمته، أما أنتم فاطلبوا لأنفسكم النجاة. والواقع أن فحوى هذه الروايات واحد، وكلها تؤكد أن الملك عبدالعزيز قد أوكل أمره إلى الله، وهو يعلم أن الرياض لا يمكن أن تسترد بسبعة رجال إلا بعون من الله، كما قال تعالى؛ ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٨٩، هامش ٢. ويذكر الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٤، أنه أبقى ثلاثين رجلاً واصطحب معه عشرة رجال.

والبيوت المحيطة بقصر المصمك ومنها بيت خاص للأمير، لكنه لا يعلم عن مكان إقامة عجلان، عامل ابن رشيد على الرياض، ولا عن تحركاته كما يتضح من رواية وصوله إلى قصر عجلان. ويذكر الريحاني أن الرياض كان فيها قلعتان واحدة ضمن الأخرى شيدهما ابن رشيد.[١] وربما كان المقصود بيت عجلان وقلعة المصمك. ومن الروايات التي ذكرت عن وصول الملك عبدالعزيز إلى بيت عجلان لا يبدو أنه يعرفه بالتحديد حيث إنه مرّ على بيتين قبله. أما الروايات التي حددت مكان إقامة عجلان فقد ذكرت أنه كان يسكن في بيت خارج القلعة لكنه مقابل له داخل سور المصمك، وكان من عادة عجلان أنه إذا حل الليل دخل مع حاميته حصن المصمك حتى الصباح حيث يخرج إلى بيته.

بدأت الملحمة العظيمة المشهودة بوصول الملك عبدالعزيز مع رجاله الستة إلى بيت شخص يدعى جويسر كان يبيع المواشي، وحيث إن الحرب خدعة، فقد تظاهر الملك عبدالعزيز بأنه ابن مطرف، الذي كان يعمل في خدمة عجلان لجلب المواشي له. وعندما طرق الباب ردت عليه إحدى النساء من داخل المنزل فقال لها كما يروي الملك عبدالعزيز نفسه: "قلت أنا ابن مطرف أرسلني الأمير عجلان يريد من أبيك أن يشتري له باكر بقرتين وأريد أن أقابل أباك". ولم يكن الملك عبدالعزيز يقصد مقابلة جويسر بالفعل بل كان يريد الدخول إلى المنزل لاستكمال خطة اقتحام بيت عجلان. ويبدو أن المرأة أوجست خيفة فلم تفتح الباب، فهددها الملك عبدالعزيز بأنه سيخبر عجلان وسيتعرض أبوها للعقاب نتيجة لذلك. سمع جويسر الحديث، وكانا يعرفان بعضهما منذ حملة الملك عبدالعزيز على الرياض في العام السابق، فأسرع لفتح الباب للملك عبدالعزيز الذي أمسك به وهدده بالقتل إن بدر منه حركة أو صوت ودخل مع رفاقه الستة إلى داخل المنزل، ثم كانت الخطوة التالية بأن جمع الملك عبدالعزيز نساء جويسر في غرفة وأغلق عليهن بابها. ويذكر الملك عبدالعزيز في روايته أن النساء في بيت جويسر صحن بعد أن عرفن الملك عبدالعزيز قائلات عمنا، عمنا عبدالعزيز، وكان بعضهن يشتغلن خدماً في بيت آل سعود من قبل، فقال الملك عبدالعزيز لا بأس عليكن إذا سكتن، ثم أدخلهن إحدى الغرف وأقفل عليهن الباب. ثم يذكر أن جويسر هرب بعد ذلك واختبأ في ضلع البديعة ولم يره الملك عبدالعزيز.[٢] ولم

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص١٢٣.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩٠؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص١٢٤. ويذكر عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٨، أن المغامرة أنست الملك عبدالعزيز أن يستوثق من جويسر وأهله، كما نسي=

تسعفنا الروايات المعاصرة للحدث عن مدى علم الملك عبدالعزيز بأن هناك بيتاً آخر كان يجب عليه أن يجتازه قبل الوصول إلى بيت عجلان، لكن الخطة التي استخدمها ومعرفته بعلاقة جويسر بعجلان تؤكد أن الملك عبدالعزيز كان يعلم أن بيت جويسر ليس مجاوراً لبيت عجلان، لكنه كان يعلم أيضاً أنه ليس لديه المبرر لطرق ذلك البيت كما هو الحال مع بيت جويسر، وتمشياً مع خطته في إضفاء عامل الكتمان والسرية على جميع تحركاته كان لزاماً عليه أن يتبع هذه الخطوات الحذرة. وتمضي الروايات لتذكر أن الملك عبدالعزيز تسلق البيت المقصود من خلال بيت جويسر حتى لا ينكشف أمره، ثم وجد صاحب المنزل مع زوجته نائمين.[1] وهنا يجب التروي في التعويل على الروايات من ظاهرها، فالروايات تذكر أن الملك عبدالعزيز ورفاقه أدخلوا الرجل وامرأته في غرفة وأغلقوا عليهما الباب ثم تابعوا مهمتهم في محاولة اقتحام بيت عجلان. وفي تحقيق هذه الروايات لا بد من الإجابة على بعض التساؤلات عن كيفية وصول الملك عبدالعزيز إلى مكان نوم الرجل، وهل كان ينام في صحن البيت، أم في مكان مكشوف مع أن دخول الملك عبدالعزيز إلى الرياض كان في شهر يناير الشديد البرودة من فصل الشتاء، ثم ما هو موقف الرجل، وهل علم بهم أم أنه حُمل هو وزوجته نائمين، وهو أمر مستبعد، وهل جرى حديث بين الملك عبدالعزيز وبين الرجل، أرغم خلاله الرجل على السكوت، ثم أجبر على الدخول إلى الغرفة مع زوجته وأغلق عليهما الباب، وكيف لم يستطع ذلك الرجل طلب الاستغاثة خلال عملية دخول الرجال السبعة إلى منزله أو بعد أن تركوه إلى بيت عجلان؟.

وفي غياب الروايات المحققة، وفي سعينا لتحليل هذه الأحداث والإجابة عن بعض هذه التساؤلات يجدر التنبيه إلى أن طبيعة المجتمع، والتقاليد المتعارف عليها في ذلك الوقت، والعلاقة بين السكان رجالاً ونساء، وطريقة الحديث والتعامل بينهم، تختلف عمّا يجري في الوقت الحاضر،

= أن يحبسهم في إحدى الغرف ويحكم إغلاق بابها عليهم، ونسي أن يضع حارساً يراقبهم، فتركهم أحراراً في بيتهم، ولولا لطف الله لكان في وسع جويسر أن ينم عليهم فيتقرب إلى الحاكم عجلان ويحصل منه على مكافأة، ولكن الله سلم. والواقع أن هذا خلاف الرواية المشهور عن الملك عبدالعزيز نفسه كما ذكرنا، كما أنه يتنافى مع أسباب الحيطة والحذر التي حرص عليها الملك عبدالعزيز منذ خروجه من الكويت. ومع قبول رواية عطار فإنها تُحمل على محمل الثقة في علاقة الملك عبدالعزيز مع جويسر التي أشرنا إليها سابقاً والله أعلم.

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص١٢٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩١.

فالعلاقة مستقاة من طبيعة العيش في الصحراء في بيوت الشعر التي عرفها سكان بلاد نجد وكانوا يقيمون فيها في بعض الفترات من السنة، خاصة في فصل الربيع طلباً للكلأ. ومن هنا كانت هذه العلاقة تأخذ شكل البساطة والعفوية والثقة المطلقة. كما يجدر التنبيه إلى طريقة بناء البيوت في ذلك الوقت وتجاورها دون فواصل وسهولة الانتقال من منزل إلى آخر مما سهل على الملك عبدالعزيز الوصول إلى بيت عجلان من خلال البيوت المجاورة.

نجحت الخطوة الثانية بدون عقبات وأصبح الجميع قاب قوسين أو أدنى من خوض المعركة الفاصلة مع عجلان واستعادة الرياض، وهنا أدرك الملك عبدالعزيز أن الخطوة القادمة تتطلب عدداً أكبر من المقاتلين لمقابلة عجلان ورجال حاميته الذين كان عددهم أكبر من عدد رجاله، ولهذا بعث عبدالعزيز بن جلوي وأخاه فهد ليستدعيا الفرقة الثانية من جيشه البالغ عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً حيث أصبح عدد المتواجدين للمهمة التاريخية أربعين مقاتلاً.[1] وهذا يوضح ما يظهر من بعض الروايات من تناقض في عدد الرجال الذين كان لهم الشرف في استعادة الرياض، الذي أوضحنا سابقاً تحليلاً لتفاوته من خلال الروايات وبيان حقيقة هذا التفاوت. وهنا ومن خلال هذا التحليل لسير العملية البطولية لا يظهر أي تناقض، حيث إن عدد الرجال الذين صحبوا الملك عبدالعزيز عند قدومه إلى الرياض ستون رجلاً، ثم أبقى عشرين منهم في الشقيب، وثلاثة وثلاثين منهم في الشمسية، ودخل هو والستة الباقون إلى الرياض، ثم استلحق القسم الثاني كما ذكرنا فأصبحوا أربعين، لكن الروايات، في خضم نشوة الفرح بالانتصار سكتت عن دور العشرين المنتظرين في الشقيب.

وفي المرحلة ما قبل الأخيرة تقدم الملك عبدالعزيز مع الستة الأوائل وتسلقوا جدار بيت عجلان بطريقتهم الخاصة حيث تسلقوا على أكتاف بعضهم حتى استطاع الأعلى تسلق السور ثم أمسك بالستة واحداً تلو الآخر حتى نزلوا كلهم داخل سور بيت عجلان. أما الرواية الأخرى، وهي الأقرب إلى الواقع، أنهم تسلقوا السور بواسطة جذع نخلة حملوه من إحدى المزارع، ثم استخدموا الحبال في عملية النزول إلى هدفهم. وعندما وجدوا الخدم في المنزل أمسكوا بهم وأغلقوا عليهم إحدى الغرف حتى لا

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ٩١؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٥.

ينكشف أمرهم. وتلافياً لاختلاف الروايات حول هذا الموضوع تسعفنا رواية القائد عبدالعزيز نفسه عن تفاصيل المرحلة المهمة والحاسمة، حيث يذكر أنهم تسللوا إلى محل نوم عجلان وتركوا خمسة من رفاقهم عند الباب وواحداً معه الشمعة (السراج) للإضاءة، ثم دخل هو وفي يده البندقية وليس فيها إلا طلقة واحدة. لم تكتمل المهمة لأن عجلان لم يكن موجوداً وقتها في البيت وإنما كان فيه امرأتان نائمتان، هما زوجة عجلان وأختها زوجة أخيه، وكان يظن أن النائمين هما عجلان وزوجته ففوجئ بالموقف ثم أخذ يسأل زوجة عجلان عن زوجها.[١] ولم تشر الرواية إلى موقف زوجة عجلان، وهل كانت تؤيد مسعى الملك عبدالعزيز، لكن رواية الريحاني تذكر أن المرأتين استوتا قاعدتين دون خوف، ثم يذكر ما دار من حوار بين الملك عبدالعزيز وبين زوجة عجلان وخوفها عليه.[٢] وعلى كل الأحوال فإنه يفهم من هذه الرواية ومن الإجابة على التساؤلات السابقة أنهما عرفتاه، وأنه حصل على معلومات قيمة من زوجة عجلان أفادته كثيراً في عملية الترصد لزوجها، حيث أخبرته أنه نائم مع جنوده داخل حصن المصمك، وأنه عادة يأتي إليها بعد طلوع الشمس وارتفاعها ثلاثة أرماح، ثم طلب من أتباعه أخذ المرأتين إلى غرفة الخدم وأغلقوا الباب عليهما.[٣] وحيث إن موعد خروج عجلان لم يحن بعد، بل بقي عليه وقت طويل نسبياً فقد استفاد منه الملك عبدالعزيز ورفاقه الستة بإحداث فتحة في سور بيت عجلان على البيت المجاور ليتمكن أتباع الملك عبدالعزيز الذين كانوا تحت قيادة أخيه محمد من الدخول إلى ساحة البيت.

عملية استعادة الرياض:

وانتظاراً للساعة الحاسمة، إن صح التعبير في هذا الموقف، أمضى الملك عبدالعزيز ورفاقه باقي

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه العملية على لسان الملك عبدالعزيز نفسه انظر: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢٢-٢٣.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، المصدر السابق، ص٢٢؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٩١-٩٢، حيث يذكر تفاصيل ما دار من حديث بين الملك عبدالعزيز وزوجة عجلان، والمعلومات التي حصل عليها خلال الحديث عن عجلان وتحركاته.

(٣) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٢؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص٤٨.

الليل في منزل عجلان. يقول القائد عبدالعزيز نفسه عن هذه السويعات "فلما اجتمعنا في المحل استقرينا وتقهوينا وأكلنا من تمر معنا وتمنا قليلاً ثم صلينا الصبح وجلسنا نفكر ماذا نعمل". (١) وبعد صلاة الفجر صعد الملك عبدالعزيز ومعه خمسة عشر رجلاً من رفاقه إلى غرفة في أعلى المنزل بها فتحة مواجهة لقلعة المصمك يستطيعون من خلالها مراقبة باب المصمك. وفي الصباح فتح باب المصمك وخرج الخدم إلى بيوتهم، كما أخرج السواس الخيل أمام المصمك. وفي الوقت نفسه خرج عجلان من القلعة كعادته يريد الذهاب إلى منزله، وقد توقف يستعرض الخيل ومعه عشرة من حرسه، بينما أغلق باب القلعة وتركت الخوخة مفتوحة. (٢) حانت الفرصة المنتظرة وتقابل الملك عبدالعزيز وجهاً لوجه مع عجلان الذي فوجئ بهذا الرجل الذي سمع عنه قبل رؤيته، أما رجال عجلان فقد هربوا إلى داخل الحصن عبر الخوخة. حاول عجلان ضرب الملك عبدالعزيز بسيفه لكنه عاجله بطلقة من بندقيته لم تصبه في مقتل لكن سيفه سقط من يده، ثم هرب مسرعاً يريد الدخول إلى القلعة من خلال خوخة الباب الصغيرة لكن الملك عبدالعزيز أدركه وقد أدخل نصف جسمه، وعندها حاول الملك عبدالعزيز جرّه من رجله، لكن عجلان حاول إبعاده برجله الأخرى. ويشرح الملك عبدالعزيز الموقف بقوله: "أما جماعته فقاموا يرموننا بالنار ويضربوننا بالحصى أيضاً، ضربني عجلان برجله على شاكلتي ضربة قوية، أنا يظهر أني غشيت من الضربة فأطلقت رجله فدخل". حاول فهد بن جلوي ضرب عجلان بحربة معه لكنها أخطأته واستقرت بالباب حيث لا زالت موجودة إلى اليوم شاهدة على هذه الملحمة العظيمة، ثم حاول الملك عبدالعزيز اللحاق بعجلان داخل المصمك لكن أصحابه منعوه خوفاً عليه. وحيث إن الأمر لا يحتمل التأخير، وقد يتغير الموقف وتنقلب حالة الهجوم إلى دفاع، خصوصاً وأن رجال عجلان، الذين صعدوا إلى أحد الأبراج، ما زالوا يطلقون الرصاص على الملك عبدالعزيز وجماعته، كان لزاماً القيام

(١) انظر كيف قضى الملك عبدالعزيز ورفاقه الوقت خلال هذه الساعات رواية عنه في: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢٠-٢٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ٩٣؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ص ٤٨-٤٩.

(٢) الخوخة الباب الصغير في وسط الباب، وهو لا يتسع لأكثر من شخص واحد يدخل أو يخرج. ويذكر الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ٩٣، أن هذا الاسم (الخوخة) معروف في بلاد الشام أيضاً. ويذكر عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٤٥ أن باب المصمك باب ضخم وكبير لا يفتح إلا للإبل عندما تدخلها والحمير والبغال، أما الرجال فيدخلون إلى الحصن ويخرجون منه من الخوخة وهي نافذة صغيرة محكمة الإغلاق.

بعمل حاسم ينهي الملحمة. وهنا كان دور عبدالله بن جلوي الذي دخل إلى حيث كان عجلان فأطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلاً. وبعد ذلك فتح الملك عبدالعزيز ورفاقه باب القلعة عنوة حيث حصل قتال بينهم وبين رجال الحامية وكان عددهم كبيراً فقتل أكثرهم ولم يسلم سوى عشرين منهم، وفي رواية أخرى لم يسلم سوى سبعة رجال فقط، هم الذين تحصنوا في الجهة الشمالية الشرقية من المصمك وطلبوا الأمان فبعث إليهم الملك عبدالعزيز فأمنهم على أنفسهم فاستسلموا له.[١] ورغم قوة هذه الملحمة وطول فترة القتال نسبياً إلا أن عدد من قتل من أتباع الملك عبدالعزيز كان قليلاً، حيث قتل من أتباعه رجلان هما زيد بن زيد وفهد بن الوبير، كما جرح ثلاثة رجال هم عبدالعزيز بن مساعد وإبراهيم النفيسي وصالح بن سبعان.[٢] وقد ورد في الوثائق البريطانية خبر عن استعادة الملك عبدالعزيز للرياض ذكر فيه أنه تم في يوم ١٥ يناير حيث قتل قائد حامية ابن رشيد وخمسون من أتباعه، واستولى على مائتي بندقية بالإضافة إلى أسلحة أخرى، وجمال وخيل.[٣] وهكذا انتهت ملحمة الرياض الكبرى في صباح يوم الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ/ ١٥ يناير ١٩٠٢م في غضون ساعة من الزمن، بينما استغرق الإعداد لها، وخطوات تنفيذها عدة أشهر، كما كان لها آثار استمرت بعد ذلك وما زالت قائمة حتى الوقت الحاضر، ولله الحمد والمنة.[٤]

استيقظ أهل الرياض على مناد وقف على مرتفع وأخذ ينادي "الله أكبر، الحكم لله ثم لعبد العزيز ابن عبدالرحمن. حقاً استيقظ أهل الرياض على حكم جديد، لكنه ليس غريباً عليهم فاستبشروا خيراً وتوافدوا يؤيدون ويبايعون الملك عبدالعزيز ويقدمون له ما يريد من مساعدة مادية أو معنوية. وبعد أن تمت عملية استعادة الرياض بعث الملك عبدالعزيز فهد بن جلوي على جواد من خيل عجلان إلى رفاق

---

(١) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٢) انظر تفاصيل الهجوم على قصر المصمك وما جرى فيه من قتال على لسان الملك عبدالعزيز نفسه في: حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢١؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٩٩٧-١٠٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص٥٢-٥٣.

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق البريطانية؛

I.O.R. L /P & S / 7 /142. from F. S. Pelam, 31 January 1902.

(٤) انظر عن الدروس المستفادة من استعادة الملك عبدالعزيز للرياض في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص٥٣-٥٥.

الملك عبدالعزيز المرابطين في الشقيب خارج الرياض ليبشرهم ويطلب منهم القدوم.[١] أما الملك عبدالعزيز فإنه إن نسي التعب والسهر والغربة فإنه في هذه اللحظات وفي خضمّ نشوة النصر لم ينس والده، الذي كابد معه مر العيش أكثر من عشر سنوات، ولم ينس مساعدة أمير الكويت له فأرسل إليهما الأمير ناصر بن سعود مبشراً بهذا النصر المبين، وطلب من والده إرسال مساعدة له من الرجال والذخيرة مع أخيه سعد بن عبدالرحمن لكي يواصل المشوار الذي بدأه باسترداد الرياض.[٢] وقد استجاب والده الإمام عبدالرحمن والشيخ مبارك إلى طلبه حيث وصلته المساعدة من الكويت بعد شهر مع أخيه سعد قوامها مائة رجل وبعض الذخيرة، وقد استفاد الملك عبدالعزيز من هذه الذخيرة ومما كسبه خلال استعادته الرياض التي منها مئتي بندقية. وكان مما بعثه إليه شيخ الكويت قوله: "ولدي العزيز، تولاك الله، وعافاك، وقواك، وجعل النصر دائماً أخاك".[٣] وخلال هذا الوقت القصير شاع خبر استعادة الرياض في بلاد نجد فجاء القريبون مبايعين، أما البعيدون فقد بعثوا أناساً نيابة عنهم. وقد بلغ أتباع الملك عبدالعزيز في هذه المدة الوجيزة حوالي ألف رجل من أهل نجد.[٤]

ولا شك أن الملك عبدالعزيز كان يدرك قوة خصمه ابن رشيد، ولم تغرّه مشاعر شبابه أو تلهه نشوة النصر، بل بدا أكثر حذراً وأشد حرصاً. وكان يعلم أن مواصلة الكفاح لضم باقي البلاد لا تقل أهمية، وإن بدت أقل صعوبة، من عملية استعادة الرياض التي لا تعدو أن تكون إحدى مدن نجد التي وقعت تحت سلطة ابن رشيد، ولعلمه بأن ابن رشيد الموجود في هذا الوقت في الحفر لن يسكت على ضياع جزء مهم من سلطته. ولهذه الأسباب بدأ الملك عبدالعزيز، وبمساعدة أهل الرياض، بإعادة بناء سور المدينة الذي سبق أن هدمه ابن رشيد عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م بعد هزيمة الإمام عبدالرحمن بن فيصل في آخر معاركه مع ابن رشيد، وقد اكتمل البناء في فترة قياسية استغرقت حوالي خمسة أسابيع.[٥] وفي الوقت

(١) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٩٠.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٠٠.

(٣) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٣؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧؛ السعدون، خالد محمود، (١٤٠٣)، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٤) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٥ .

(٥) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٩٠، ١٢٣؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٥؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٧٠، ٩١. وتذكر=

نفسه قام الملك عبدالعزيز ببعض الترتيبات العسكرية اللازمة شملت إعادة ترتيب الجيش رغم محدودية عدده.

أصداء استعادة الرياض:

رغم أهمية استعادة الملك عبدالعزيز للرياض، والآثار السياسية والحربية، المحلية والدولية التي نتجت عنه، إلا أنه لم يُحدث صدى كبيراً في السياسة الدولية.[١] ولتلمس أسباب هذا التحجيم نعتقد أن هناك عدة عوامل اجتمعت فكانت حجاباً غطى تأثير وصدى هذا الحدث على المستوى السياسي منها:

أولا: لا شك أن أهم هذه العوامل هو الطريقة التي نفذت بها العملية، إذ أن الملك عبدالعزيز استخدم استراتيجية السريّة والسرعة والمفاجأة، وخاصة في المرحلة الأخيرة من عميلة استعادته للرياض كما رأينا، وهو بلا شك عامل قلل من انتشار خبر هذا الحدث سواء في مراحل الإعداد له أو في استراتيجية تطبيقه وحتى في الزخم الذي صاحب نجاحه.

ثانياً: موقف ابن رشيد غير المكترث، وخاصة في أول الأمر، قلل من صدى استعادة الملك عبدالعزيز للرياض. فعلى الرغم من أن أحد أتباع عجلان استطاع الهرب من قصر المصمك ونزل من سور القصر إلى الخارج، وأسرع لإبلاغ أمير المجمعة عبدالله بن عسكر الذي أخبر ابن رشيد وكان يومئذ في حفر الباطن يفاوض حكومة بغداد لتساعده على الهجوم على الكويت، لكنه لم يظهر الاهتمام المطلوب.[٢] والواقع أن ابن رشيد في هذه اللحظات كان يتنازعه عاملان أولهما ما يختلج في صدره من

= بعض هذه المصادر أنه أتم بناء السور في أربعين يوماً. ولمزيد من المعلومات عن سور الرياض، ومراحل بنائه، وبواباته، منذ عهد الدولة السعودية الأولى حتى عهد الملك عبدالعزيز يرحمه الله. انظر: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(١) لا يعني هذا أن استعادة الرياض وقيام الدولة السعودية المعاصرة بقيادة الملك عبدالعزيز لم يكن لها صدى في العالم الإسلامي. لقد كتبت كثير من الصحف والكتب عن هذا الإنجاز الكبير في وقته. وقد ذكرنا في ثنايا هذا البحث عدة مقالات وردت في مجلة المنار. وكذلك ما دونه الريحاني من لبنان، والألوسي من العراق، وهما معاصران للملك عبدالعزيز، من شرح واف لهذه الأحداث.

(٢) لقد كانت الدلائل تشير إلى عزم ابن رشيد الهجوم على الكويت، ومن هذه الدلائل تقرير يفيد بهجرة بعض سكان الكويت إلى مصر والشام بسبب تعديات ابن رشيد قبل وبعد الهجوم المذكور. وقد تبين من التحقيق الذي أجرته السلطات العثمانية حول هذا الموضوع أن حوالي أربعمائة من العشائر قد اتجهوا إلى الشام حيث أقروا بأنهم فروا

الحيرة والحسرة والاستغراب في السرعة التي تم بها هذا الحدث حتى أنه قلل من شأن خصمه بعبارات تدل إما على الغرور والتكبر، أو على هول المفاجأة، لكنه على كل حال دفع ملكه وسلطانه ثمناً لغروره، كما سيأتي تفصيله لاحقاً. وثانيهما أنه أراد تحجيم هذا الحدث لكي لا يفت في عضد رجاله وجنده الذين سئموا الحروب وويلاتها وجنحوا للراحة والحياة الهانئة. وتدل الأحداث التالية، كما سنرى لاحقاً، على صواب هذه النظرية إذا تمعنا في نتائج الجولات التالية من القتال حيث أصبحت الهزائم تلاحق ابن رشيد أينما اتجه.

والواقع أن موقف ابن رشيد في هذا الوقت أصبح حرجاً، فمن جهة أدى تأزم علاقته مع أمير الكويت منذ فترة إلى منع وصول المؤن والأسلحة التي كانت تأتيه من الكويت أو عن طريق موانئها. ومن جهة أخرى كان ابن رشيد يعرف ويلاحظ أن كثيرين من أهل نجد، ومن رعاياه على وجه الخصوص، ذوي الممتلكات الموروثة قد انتقلوا بسبب ما ساد حكمه من قسوة وجشع وسوء إدارة. وقد اضطر، إزاء وضعه السياسي والعسكري المتردي، وأمام التفوق العسكري والسياسي للملك عبدالعزيز، أن يطلب، على عجل، في أواخر عام ١٣١٩هـ/ مارس ١٩٠٢م مساعدة الوالي العثماني في البصرة، وأن يلح في الطلب، لكي يستطيع الوقوف في مواجهة خصمه، وقد اعترف أنه لا يستطيع مواجهته لوحده. ولشحذ همة الدولة العثمانية في سرعة إجابة طلبه أوضح في رسالة إلى الصدر الأعظم في القسطنطينية أن الحكومة البريطانية تخطط لإقامة علاقات وثيقة بوسط الجزيرة العربية عن طريق كل من ابن سعود وشيخ الكويت.[١] ورغم إلحاح ابن رشيد إلا أنه لم يجد مساندة فورية وفعالة من قبل الوالي العثماني في البصرة. وتذكر بعض الروايات أن من أسباب هذا التلكؤ اتصال الملك عبدالعزيز بالوالي العثماني في البصرة يخبره بعملية استعادة الرياض وفي الوقت نفسه يعبر عن احترامه للسلطان وولائه للدولة العثمانية.[٢] ولاشك أن هذه الخطوة بادرة طيبة وذكية من الملك عبدالعزيز لكي يتقي غضب الدولة العثمانية في هذا الوقت بالذات حيث إن إمكاناته المادية والعسكرية ما زالت ضعيفة.

من = = تعديات ابن رشيد وأن قسماً منهم بقي في الشام وقسماً آخر توجه إلى مصر. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، ١٨ رجب ١٣١٩هـ.

(1) Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1144.

لوريمر النسخة المعربة، ص ١٧٠٠.

(٢) إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٧٦.

ثالثاً: كان من المفترض أن يكون الشيخ مبارك الصباح، شيخ الكويت، أكثر فرحاً وأن يُظهر الابتهاج ويبرز صدى انتصار ابن سعود باستعادته الرياض من غريمه ابن رشيد. ولا شك أن استعادة الملك عبدالعزيز للرياض، في الوقت الذي تعتبر انتصاراً للأسرة السعودية، فإنها تعتبر كذلك مكسباً يسير لصالح ابن صباح في هذا الوقت بالذات حيث مني بهزيمة قاسية من ابن رشيد في العام الماضي، وكان يفترض أن يستغل هذا الحدث لصالحه سياسياً. ولا يبدو أن ذلك كان غائباً عن ذهن ابن صباح، لكن الوضع السياسي لبلاده وتحالفه مع بريطانيا ربما كان له دور في عدم إظهاره ما يستحقه هذا الحدث من صدى حربي وسياسي، حيث كانت موالاته لبريطانيا قد جلبت له نقمة الدولة العثمانية، لكنها لم تستطع أن تعبّر عن هذه النقمة بأسلوب القوة، ولذلك اكتفت بأن تظهر ولاءها لابن رشيد.[(١)] ولخوف بريطانيا من نتائج المجابهة بين الشيخ مبارك وابن رشيد ضغطت على الدولة العثمانية لتمنعها عن تقديم مساعدة حربية لابن رشيد. ويكفي الشيخ مبارك لكي يظهر ويعلن صدى استعادة الملك عبدالعزيز للرياض أن بريطانيا حمته من البحر وحماه الملك عبدالعزيز من البر.[(٢)]

رابعاً: أما صدى هذا الحدث لدى الدول الكبرى التي لها نفوذ في المنطقة، وخاصة الدولة العثمانية

---

(١) كان الشيخ مبارك الصباح يواجه في هذا الوقت عدة مصاعب، منها موقف ابن رشيد أمير حائل الذي انتقم لهجوم ابن صباح عليه في موقعة الصريف بأن سار نحو الكويت، ثم أرسل حملة وصلت إلى الجهراء. كما أن الدولة العثمانية لا تقل عنه غضباً على ابن صباح لتحالفه مع بريطانيا. ففي شعبان من عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م وصلت إلى ميناء الكويت باخرة حربية عثمانية قادمة من البصرة وعلى متنها نقيب أشراف البصرة، رجب النقيب، ومعه ضابط كبير هو أخو والي البصرة، وعند مقابلة مبارك عرضا عليه أن يختار أحد أمرين؛ إما أن يسافر إلى استانبول ليكون أحد أعضاء مجلس شورى الدولة، أو يختار بلداً غير الكويت، على أن تتحمل الحكومة العثمانية إعاشته، فإن رفض الأمرين أخذ من قصره بالقوة. ولا شك أن هذين الخيارين أحلاهما مرٌّ، ولذلك طلب الشيخ مبارك من الوفد العثماني التريث، ثم لجأ إلى حليفته بريطانيا، حيث أرسل برقية إلى المقيم البريطاني في بوشهر يخبره بالحال، وقد استجابت بريطانيا سريعاً وأرسلت مركباً حربياً مع ضباط بريطانيين وصل على وجه السرعة إلى ميناء الكويت وأكد لمبارك حمايته. وعندما علمت الدولة العثمانية طلبت من مبعوثيها تجنب المجابهة مع بريطانيا، ثم غادرت الباخرة العثمانية الكويت. وبهذا استطاع الشيخ مبارك أن يضمن بقاءه. وقد حاول، وبمساعدة من البريطانيين المتواجدين في عرض البحر، مقابلة ابن رشيد في الجهراء لكن ابن رشيد أدرك أن الوقت غير مناسب فرجع إلى الحفر. انظر عن تفاصيل هذا الموقف: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص١٢٠-١٢١.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص١٢٧-١٢٨.

وبريطانيا فلم يكن بحجم الحدث، رغم معرفتهما بأسبابه وتطوراته ونتائجه الأولية. أما بريطانيا، فعلى الرغم من متابعتها لاستعادة الملك عبدالعزيز للرياض والأعمال الحربية التي قام بها بعد ذلك، إلا أنها فضلت مراقبة الأحداث عن بعد.[١] وقد أفادت التقارير العثمانية التي كشفت عنها الوثائق أن هناك اهتماماً بريطانياً خفياً بما يجري في بلاد نجد على يد الملك عبدالعزيز، حيث تشير تلك الوثائق إلى تستر الموظفين الإنجليز في البصرة والكويت بالبحوث التجارية، بينما هدفهم الحقيقي هو لقاء ابن سعود والتدخل في شؤون الحدود.[٢] وعلى الرغم من أن بريطانيا لا تحتاج إلى التخفي عندما ترغب في اتصالها بالملك عبدالعزيز، فإن الواقع أن بريطانيا كان يهمها بالدرجة الأولى مصالحها في الخليج وعلى طول سواحله ولم تكن تهتم لما يجري داخل شبه الجزيرة العربية إلا بالقدر الذي يؤثر على نفوذها هناك، ولذلك كانت تتحاشى التدخل في شؤون وسط الجزيرة العربية التي ربما تجرها إلى صراع مع القبائل هناك.[٣] أما الدولة العثمانية فإن سياستها تقوم على دعم نشاط ابن رشيد في شبه الجزيرة العربية باعتباره حليفها الاستراتيجي الوحيد في المنطقة، رغم أنها لم تكن متحمسة لأعماله الحربية، وخاصة ما يمس مناطق نفوذ بريطانيا. وعلى سبيل المثال وعدت الدولة العثمانية ابن رشيد بمساعدته عندما كان يخطط للقيام بحملة على الكويت، لكنها تقاعست في إرسال المدد حتى أن المساعدات التي وعدت بإرسالها له من العراق ظلت ستة أشهر في الطريق بين بغداد والبصرة رغم قصر المسافة نسبة إلى المدة الزمنية، وكانت تأمل في أن يُحل الموضوع سلمياً. وقد وصف الريحاني موقف الدولة العثمانية هذا

---

(١) مما يدل على اهتمام بريطانيا الحذر بما جرى في بلاد نجد على يد الملك عبدالعزيز، تلك التقارير التي كان يبعثها وكلاؤها في منطقة الخليج عن الأحداث أولاً بأول. انظر على سبيل المثال: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق البريطانية، انظر الوثائق التالية ومصدرها:

I.O.R. L /P & S / 7 /142. from F. S. Pelam, 31 January 1902.

I.O.R. L / P & S / 20 / C 239, Further movements of Ibn Rashid, (2) Ibn Saud in the field again and captures Riadh, January- Novembdr 1902.

(٢) دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٠**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٢٢هـ.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص٤٠. انظر كذلك:

Troeller, G., (1976), The Birth of Saudi Arabia)Britain and the Rise of the House of saud(, London, pp. 36-42.

وكذلك موقف بريطانيا من ابن رشيد بقوله: "ظلت الأولى مذبذبة مراوغة، واستمرت الثانية مراقبة ومن وراء الستار حاكمة بأمرها". (١)

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١١٧، ١٢٧. وبخلاف موقفها من الملك عبدالعزيز واستعادته الرياض، فإن بريطانيا رمت بكل ثقلها لمساعدة الشيخ مبارك أمام خصمه ابن رشيد. وتفيد الوثائق البريطانية والعثمانية عن إعلان بريطانيا، من جانب واحد، عن حمايتها للكويت حتى قبل أن تعلن ذلك رسمياً، بل إن البحرية البريطانية أنزلت مدافع ومعدات عسكرية لمساعدة الشيخ مبارك. وقد دفع هذا الإجراء الدولة العثمانية إلى الاحتجاج على بريطانيا وطلب سحب تلك المدافع. وقد تطور الأمر إلى حد أن السفن الحربية البريطانية تصدت لقوارب التفتيش العثمانية مدعية أن بريطانيا ستعلن الحماية على الكويت، وأنها ستحارب إذا ما تم إخراج أي قوات أو مهمات إلى البر. انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣١**، من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ١٤ جمادى الأول ١٣١٩هـ. وانظر كذلك: إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، مرجع سابق، ص ١٦٥ هامش ٧ نقلاً عن:

PRO, FO. 371 / 149 / XC / A /3722. Appendix no. 1. Agreement with the SK. of Koweit.

وفي تطور للمسألة تصدى قائد أحدى السفن البريطانية لنقيب البصرة وزملائه، وأعلن عدم اعترافه بتبعية الكويت للدولة العثمانية انظر عن هذا الموضوع: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٦**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٥ رمضان ١٣١٩هـ. وقد احتجت الدولة العثمانية على بريطانيا لإنزال مدافع إلى الشاطئ الكويتي وطلبها سحب تلك المدافع. انظر الوثائق التالية: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٣**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٢٥ رمضان ١٣١٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٧**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٢**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٥**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ١٩ شوال ١٣١٩هـ.

obeikan.com

المبحث الثالث

منطقة الرياض ومرحلة امتداد الدولة

إن استعادة الرياض، رغم أهميتها، لم تكن كافية لحماية الملك عبدالعزيز، لأنها تحتاج إلى تعزيز مادي ومعنوي لاستعادة الحكم السعودي بكل أبعاده السياسية وامتداده المكاني، ومن هنا كان الملك عبدالعزيز يدرك أن عليه بذل جهود كبيرة للحفاظ على الرياض، رمز الدولة الجديدة، وتعزيز دفاعاتها، وفي الوقت نفسه العمل على بناء كيان الدولة بضم المناطق القريبة منها، ثم الامتداد إلى مناطق أخرى. لقد عادت الرياض مرة أخرى عاصمة للدولة السعودية المعاصرة مثلما كانت عاصمة للدولة السعودية الثانية، كما تبوأت منطقة الرياض بحدودها الحالية الصدارة في أولويات اهتمام الملك عبدالعزيز في مرحلة بناء كيان الدولة الجديدة مثلما كانت نقطة انطلاق كل من الدولة السعودية الأولى والثانية.

البيعة لعبد العزيز بالإمامة:

وتحقيقاً للاستراتيجية التي خطط لها الملك عبدالعزيز من تمكين سلطته في الرياض، ووضع الخطط اللازمة لضم مناطق جديدة تدعم كيان الدولة، في هذا الوقت بالذات، ولهذا السبب رغب أن يكون والده بجانبه في هذه الفترة المهمة من عمر الدولة. وهذه الخطوة من جانب الملك عبدالعزيز تعبر عن حرصه على رد الجميل لوالده والاستعانة بخبرته في هذه الفترة المهمة من مراحل توحيد البلاد. ولهذا أرسل إلى والده يستدعيه للقدوم إلى الرياض واستلام زمام الحكم بعد أن نجح في استعادة الرياض وتأمين ظهره من الجنوب. وفي طريقه إلى نجد سلك الإمام عبدالرحمن طرقاً غير مأهولة إمعاناً في الحذر، ولكي يتقي عيون ابن رشيد. وعلى بعد ثلاثة أيام خرج الملك عبدالعزيز وأعوانه على رأس قوة قوامها خمسمائة من الفرسان المسلحين لاستقبال والده، الإمام عبدالرحمن، بعد غيبة طويلة تزيد على عشر سنوات قضى أغلبها في الكويت. وهناك في الطريق أقيمت خيمة للقاء المنتظر، حتى إذا تقابل الوالد مع ابنه سارا سوياً إلى الرياض حيث استقبلا استقبالاً حافلاً.[1] كانت لحظة معبرة توحي بالوفاء

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٨؛ سعيد، أمين، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٠.

والاحترام والتواضع عندما أرسل الملك عبدالعزيز وهو في القصر إلى والده في بيته قائلاً: "الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم". [١] أما الإمام عبدالرحمن الذي عركته الحياة، وصاغته التجربة، فقد رأى أن الدولة الجديدة تحتاج إلى همة الشباب، ونشاطهم، وتحمل التنقل في سبيل توحيد البلاد، وهي صفات مهمة في هذه المرحلة بالذات، ولذلك فقد رأى أن ابنه عبدالعزيز هو الرجل المناسب لقيادة هذه الدولة، ولهذا عزم على التنازل عن الحكم له، وكان قراره نهائياً، بل إنه قال لابنه إذا كان قصدك من استدعائي إلى الرياض لأتولى الإمارة فيها فهذا غير ممكن، وفضّل أن يخرج من الرياض إذا ألحّ عليه بذلك. يقول فاسلييف: "ويجمع المؤرخون العرب والأوربيون على أن الأب والابن كانا يفهمان بعضهما جيداً، وكانت الثقة بينهما قد ساعدت على استقرار الدولة الجديدة". [٢] ومع رفض الإمام عبدالرحمن تولي الحكم معتقداً أن دوره قد انتهى وأن ابنه عبدالعزيز لديه قابليات الحكم ومؤهلاته، ورفض ابنه عبدالعزيز تولي الحكم مع وجود أبيه الذي يعتبره أولى وأحق منه بالحكم، تأزم الموقف مما استدعى تدخل العلماء وأهل الحل والعقد وألحّوا على الملك عبدالعزيز وأخبروه بأن على الولد أن يطيع والده، ثم قالوا للإمام عبدالرحمن أنت والد عبدالعزيز فأنت رئيس عليه وبالتالي على أهل نجد. وبهذا الحل الوسط وافق الملك عبدالعزيز على تولي الحكم بشرط أن يكون والده مشرفاً عاماً على أعماله يرشده إلى مافيه خير البلاد. [٣] يقول روي لبكتشر: "إن علاقة الإمام عبدالرحمن بابنه التي استمرت قرابة ثلاثين عاماً حتى وفاته قلّ أن نجد لها مثيلاً في علاقة أفراد الأسر الحاكمة مع بعضهم. لقد كانت علاقة ود وإكبار وإعزاز متبادلين، كما كانت علاقة تشاور مفيد في جميع الشؤون المهمة، تدعمها رغبة خالصة من الأب بالاعتراف بزعامة الابن، ورغبة مثلها من الابن بوضع الأب في أسمى مراتب الإجلال في كل مناسبة عامة. [٤] وهكذا تنازل الإمام عبدالرحمن عن الحكم لابنه عبدالعزيز لكنه أراد أن يضفي على تنازله

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ١٣٠.

(٢) فاسلييف، (١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص١٣٠؛ عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٢٧٠.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١ ص ١٢٩. وانظر كذلك:

Lebkicher, Roy, (1950), **Background of Arabia and the Middle East.**, New York, p. 47.

المبدأ الشرعي الذي قامت عليه الدولة منذ تأسيسها. ففي اجتماع عام في الرياض في سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م حضره العلماء والوجهاء تمت البيعة لعبد العزيز في باحة المسجد بعد صلاة الجمعة حيث أعلن الإمام عبدالرحمن تنازله عن حقوقه في الإمارة لأكبر أبنائه الملك عبدالعزيز، وبايعه بالإمامة، وتبعه الناس في البيعة، وتخلى له عن قصر آل سعود ثم أعطاه سيف سعود الكبير الذي تتوارثه الأسرة. وبذلك تمت البيعة بالإمامة للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.(١) وعلى الفور نهض الإمام عبدالعزيز وارتجل كلمة مختصرة، لكنها كانت كلمة جامعة مانعة حيث اختصرت سياسته في الحكم التي أكد فيها أنه سيكون الحاكم المؤمن بالله، المخلص لدينه، الذي يعمل لنشر كلمة التوحيد، ويقيم أحكام الدين، ويحارب البدع والخرافات. ثم قال: "أما وإن أبي وأنتم جميعاً قد ألزمتموني بهذه البيعة فأنا أشترط لقبولها ثلاثة شروط. الأول: أن يكون والدي رقيباً على كل أعمالي وأقوالي، يرشدني إلى ما فيه خير الأمة، ويردعني عن كل ما يراه ضاراً بمصالحها، وأن يحاسبني حساباً عسيراً عن كل خطأ أقع فيه بقصد أو بغير قصد. الثاني: أن يقوّم كل فرد وبخاصة العلماء كل اعوجاج فيَّ. الثالث: أن يكون الجميع عوناً لي فيما يكون فيه صلاح الأمة وخيرها". ثم وقف الإمام عبدالرحمن وختم الاجتماع بكلمة ضافية نصح فيها ابنه عبدالعزيز في أمور الدنيا والآخرة.(٢) وقد استمرت العلاقة بين الوالد وابنه حيث ظل الإمام عبدالرحمن بجوار ابنه عبدالعزيز يمده بمشورته وتجاربه وحكمته إلى أن توفاه الله في يوم ١٢/ ١٢/ ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.(٣) وتعليقاً على هذا التواصل والتقدير بين الأب وابنه الذي استمر حتى وفاة الإمام عبدالرحمن، يروي العقاد أن الملك عبدالعزيز قال: "رحمة الله على والدي، لقد كان يعاملني كأنني أنا الوالد وهو الولد. وما رأيت قط معاملة كهذه بين الآباء والأبناء أو بين الاخوة والأقربين".(٤)

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٣٠-١٣١؛ سعيد، أمين، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٠. ومن أوصاف هذا السيف أن نصله دمشقي، وقبضته محلاة بالذهب، وقرابه مطعّم بالفضة.

(٢) للمزيد عن خطبة الامام عبدالرحمن في هذه المناسبة انظر: عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ص ٢٧٠-٢٧١.

(٣) الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

(٤) العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، مصدر سابق، ص٤.

استراتيجية استعادة كيان الدولة:

لم يضع الملك عبدالعزيز الوقت بعد استعادته الرياض بل أخذ يقوم بإجراءات عملية لتمكين سلطته الجديدة حتى قبل أن يعود والده، الإمام عبدالرحمن إلى الرياض.[١] والواقع أن أُولى مهماته، بل أهمها، هو تحصين الرياض ونقل المواجهة مع ابن رشيد إلى منطقة أبعد لتشتيت قوته. لقد امتزجت الحنكة بالتجربة في تخطيط الملك عبدالعزيز للمعارك القادمة، حيث أدرك أن ابن رشيد لا يستطيع التأخر وأنه سيهاجم الرياض لاعتقاده أن ابن سعود موجوداً بها، لكن الملك عبدالعزيز حصّن الرياض تحت قيادة والده الإمام عبدالرحمن واتجه من الحاير إلى الحوطة، إحدى بلدان منطقة الرياض، ليتم ما بدأه في ضم المناطق هناك من جهة، وليكون بعيداً عن قوات ابن رشيد من جهة أخرى.[٢] وكما سنرى لاحقاً، نجحت خطة الملك عبدالعزيز عندما قدم ابن رشيد إلى الرياض مهاجماً لكنها استعصت عليه. كما أصيب بخيبة أمل عندما علم أن الملك عبدالعزيز قد غادرها إلى الجنوب. وحفظاً لماء الوجه، ومحاولة للحاق بخصمه واصل ابن رشيد مسيره إلى حيث يتمركز الملك عبدالعزيز مع قواته في جنوب منطقة الرياض.

ومع أن منطقة الرياض تضم بلاداً كثيرة إلا أن الملك عبدالعزيز في سعيه لضم بلاد جديدة للدولة الوليدة كان يعتمد على خطة استراتيجية حربية وسياسية في وقت واحد، وهي خطة كان لها الفضل بعد الله في تمكنه من إعادة كيان الدولة بثبات وقوة. لقد كانت تحكم الملك عبدالعزيز في خططه لضم مناطق جديدة عدة اعتبارات. لقد كانت استراتيجيته تقوم على ضم المناطق التي يعلم، أو يغلب على ظنه أنها موالية للحكم السعودي. ومن الناحية الميدانية كانت خططه تقوم على كسب سريع للبلاد لتوسيع رقعة الدولة الجديدة، وكسب الأنصار المؤيدين لها القادرين على حمايتها. ومن الأمور الجوهرية التي فكر فيها الملك عبدالعزيز في هذه المرحلة هو العمل على ضم المناطق البعيدة عن السيطرة العسكرية المباشرة لابن رشيد، وعن نفوذه السياسي. ومن هذا المنطلق، ورغم أن بلاد الوشم، وسدير، والشعيب، والمحمل، وهي مناطق شمال وشمال غرب منطقة الرياض كانت من المناطق الموالية للدولة السعودية منذ

---

(١) كانت عودة الإمام عبدالرحمن إلى الرياض بعد مضي فترة من الوقت استطاع الملك عبدالعزيز خلالها أن يلقى تأييداً من معظم بلاد جنوبي منطقة الرياض دون عناء.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٥.

تأسيسها، وأن ضمها إلى الدولة ليس بالأمر الصعب ولا يحتاج إلى قوة كبيرة، إلا أنها كانت قريبة من نفوذ ابن رشيد حيث تقع في الطريق إلى حائل، قاعدة ابن رشيد، وأي حملة في هذا الاتجاه ستنبه ابن رشيد، ولهذا وجه خططه في المرحلة الأولى من بناء الدولة إلى منطقة جنوب وجنوب غرب منطقة الرياض؛ لأنها تتحقق فيها كل الاعتبارات التي تناسب الاستراتيجية التي وضعها الملك عبدالعزيز في هذه المرحلة. فمنطقة جنوبي نجد بعيدة عن حكم ابن رشيد، وتحرك الملك عبدالعزيز إليها لن يثير انتباه خصمه على الأقل في مراحله الأولى. ومن جهة ثانية كان بُعد هذه المنطقة عن حكم ابن رشيد قد جعل سكانها يتمتعون بحرية أكثر، مما يمكنهم من معرفة طبيعة تحركات الملك عبدالعزيز ومدى قوته وبالتالي يستطيعون الانضمام إليه دون خوف. والأمر المهم الذي لم يغب عن ذاكرة الملك عبدالعزيز هو أن معظم زعماء بلاد جنوبي نجد وسكانها كانت لهم مواقف مشرّفة، خلال عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، عندما صمدوا أمام حملات محمد علي باشا، الذي ينفذ سياسة الدولة العثمانية الحليف الاستراتيجي لابن رشيد. يضاف إلى ذلك أن بلدان جنوبي نجد كانت مأوى لكثير ممن ارتحلوا عن الرياض إما قسراً، أو رغبة في العيش في مكان آمن بعيد عن الخضوع للحكم الأجنبي، حتى ولو كان بصورة وطنية، كما هو الحال في حكم خالد بن سعود. ومن أمثال هؤلاء الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية، وأفراد من الأسرة السعودية، أو من أسرة آل الشيخ، أو حتى من عامة الناس.[١] وبهذه النظرة التي تعتمد على الاستفادة من دروس الماضي ومعطيات الحاضر استطاع الملك عبدالعزيز تنفيذ خطته بضم بلاد جديدة من جهة، ولم يضطر إلى التحرش بابن رشيد من جهة أخرى.

أما ابن رشيد فكان في الحفر منذ أربعة أشهر يتفاوض مع الدولة العثمانية في كيفية معاقبة أمير الكويت ثم بدأ يطلب منهم المساعدة للتصدي لابن سعود رغم أنه تظاهر بأنه لم يول أمره أي أهمية في ذلك الوقت رغم استعادته الرياض.[٢] يقول ضاري بن رشيد: "أما عبدالعزيز بن رشيد فلما بلغه الخبر حقّره وتكبّر، وقال: خله يتحصن ويسوي كل ما عنده، وأنا أجيه، ولم يقل إن شاء الله".[٣] ويذكر

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١.

(٢) ويعلل أمين سعيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٦، سبب عدم وصول الحملة المرابطة في البصرة بأن الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت أرسل رسولاً استطاع التفاهم مع والي البصرة وأرضاه حتى ألغى الأخير سفر الحملة.

(٣) الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨.

الزركلي أن ابن رشيد لم يهتم للأمر لأنه كان يرى أن الكويت هي الأصل والرياض فرع، فإذا قضى على الأصل سقط الفرع.[١] ويذكر سعود بن هذلول أنه على الرغم من مشورة عقلاء قومه له بسرعة القضاء على ابن سعود قبل أن يعظم أمره ويكثر أنصاره إلا أنه لم يكترث وقال قولته المشهورة في كتب التاريخ "لا يهمكم أمره فهو أرنب محجورة وأهلها مقيمون ومتى ما فرغنا من مهمتنا التي جئنا إلى هنا من أجلها أتيناه في عقر داره وقتلناه وجميع من معه".[٢] وعلى العكس من ذلك يذكر فاسلييف أن ابن رشيد عندما علم بنبأ سقوط الرياض بيد الملك عبدالعزيز "استولى عليه الهياج وأقسم بأن يثأر من أعدائه التقليديين ونزح من الفرات الأوسط إلى حائل ليجمع العساكر ويتوجه إلى الرياض، إلا أن الاستعدادات استغرقت عدة أشهر.[٣] وتبعاً لمجريات الأحداث فإن الرواية الأولى هي الراجحة وتتناسب مع آخر رواية فاسلييف التي تذكر أنه أمضى وقتاً في الاستعداد.

ورغم ما يبدو من عدم اكتراث ابن رشيد بهذا الأمر، أو عدم استعداده للتحرك بسرعة فإن مما لا شك فيه أنه فوجئ بهذه التطورات التي حدثت في الرياض وما حولها، وأنه دفع الثمن غالياً نتيجة توانيه واستهانته بالموقف، خصوصاً بعد أن بدأت أخبار انتصارات الملك عبدالعزيز في جنوب منطقة الرياض المعنوية والعسكرية تظهر للعيان ويتناقلها الركبان. وبعد أن أفاق من هول الصدمة التي أحدثتها استعادة الملك عبدالعزيز السريعة الحاسمة للرياض سوّى أموره الداخلية، ولم ينتظر النجدة التي طلبها من الدولة العثمانية بعد أن أصابه اليأس من سرعة وصولها، بل بدأ يحشد قواته.[٤] ولكي يستفيد من

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٢٦.

(٢) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٣) فاسلييف، (١٩٨٦م)، مصدر سابق، ص ٢٥٢.

(٤) لقد كان موقف الدولة العثمانية في هذا الوقت الحرص على تجنب التصادم مع بريطانيا، ولذلك عملت ما في وسعها لمنع الحرب والنزاع بين ابن رشيد وأتباعه وبين مبارك الصباح بأي وسيلة، لأنها تعلم أن بريطانيا ستتدخل لصالح الشيخ مبارك بناء على الاتفاقية التي عقدها مع بريطانيا. ولمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر: دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٥**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٢ شوال ١٣٢٠هـ؛ وتقرير عن العلاقات الانجليزية العثمانية حول الكويت، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٠**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧هـ؛ وتقرير عن تدخل بريطانيا في الكويت وطلب كل من فرنسا والمانيا اقامة مبان رسمية عثمانية لتعزيز نفوذها، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٨**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ. =

الوقت، بدأ ابن رشيد يخطط لاستعادة الرياض التي تعتبر رمز الحكم السعودي حيث لا يمكن مقاومة الملك عبدالعزيز إلا بإخراجه منها. ومنذ ذلك الوقت بدأ يحشد قواته من حائل نفسها، ومن بادية شمر والقصيم، حيث استنفر أتباعه منها ومن بلاد الوشم وسدير والمحمل والشعيب، ثم غادر حائل في شهر ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م، متنقلاً في المناطق القريبة من الرياض، فأقام على ماء رغبة من قرى المحمل، التي تبعد عن الرياض ١٨٠ كيلاً، قرابة شهرين.[١] وكان ابن رشيد في هذه الفترة يتحين الفرصة للهجوم على الرياض ومحاصرتها، حيث أرسل من هناك سالم السبهان على رأس حملة من أهل القصيم لمهاجمة ضرما من الجهة الجنوبية الغربية، كما طلب من وكيله في الأحساء سعد الحازمي أن يستلحق قبائل العجمان وآل مرة لمهاجمة ضرما من الجهة الجنوبية الشرقية. ثم انتقل إلى بلدة الحسي فأقام فيها حوالي شهر، لكن جيشه تأثر من الوباء العام الذي نزل ببلاد نجد في هذا العام حيث توفي بقضاء الله ثم بسببه أعداد كبيرة، منهم عبدالله بن عثمان بن عبدالجبار من أهل المجمعة، ومحمد بن عبدالعزيز بن شبانة[٢] وكان ابن رشيد يقصد من وراء تلك التحركات واستقطاب جموع القبائل محاولة تطويق الرياض من الشمال الغربي والجنوب الشرقي استعداداً لمهاجمة حامية الملك عبدالعزيز في الرياض.[٣] وقد تذمر ابن رشيد من أن كثيراً من القبائل التي كان يظنها موالية له انضمت إلى الملك

= وهناك مجموعة من الوثائق عن محاولة الدولة العثمانية عن طريق والي البصرة اقناع الشيخ مبارك ونصحه بعدم وقوعه تحت التأثير الأحنبي والتقليل من تأثير الممارسات البريطانية. انظر مثلاً؛ تقرير عن سفر نقيب أشراف البصرة إلى الكويت لهذا الغرض، دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٤**، من رئيس الكتاب إلى السطان، تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٤**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٦**، من والي البصرة إلى الباب العالي، تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٥م؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٩**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ؛ **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٤**، برقية عاجلة عن الأوضاع في الكويت، من والي البصرة إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٣ اغسطس ١٩١٧م.

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) ابن ناصر، عبدالرحمن، (ت ١٣٩٠هـ) **عنوان السعد والمجد فيما استطرف من أخبار الحجاز ونجد**، ج١، صورة مخطوطة، دارة الملك عبدالعزيز، ص ٥٧، وهو يسمي هذا المرض الرّجز.؛ ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د.ت.)، مصدر سابق، ص ٩٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٣؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص٦٤

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٦٤-٦٥.

عبدالعزيز. وعندما لم تنجح محاولاته في الهجوم على الرياض عاد إلى حفر العتك الواقعة شمال الرياض على بعد حوالي ١٨٠ كيلو متراً ليقوم بمنع الإمدادات التي تصل إلى الملك عبدالعزيز من الكويت. وقد علل بعض المؤرخين سبب رجوع ابن رشيد بعد أن وصل إلى مشارف الرياض بعجزه عن اقتحامها، أو أنه أراد أن يفرض حصاراً اقتصادياً عليها بقطع الطريق بينها وبين الأحساء والكويت، أو لأنه برجوعه إلى الحفر أراد أن يستميل بعض القبائل إلى صفه مثل العجمان وآل مرة لكي يستفيد منها عند هجومه على الرياض وذلك بأن تهاجم المدينة من الجنوب الشرقي بينما يهاجمها هو من الشمال.[١] وفي الحقيقة فإن كل تلك الاحتمالات واردة، وخاصة الثاني والثالث، يضاف إليها أن ابن رشيد قصد من وراء خطته هذه معرفة مدى قوة ابن سعود، ومدى تمكنه من السيطرة على الرياض، ومدى تحصينها، وذلك لكي يستطيع حشد القوة التي يحتاجها لمجابهة الملك عبدالعزيز. ويبدو أن ابن رشيد لم يطل المكث في الحفر حيث عاد مسرعاً لحصار الرياض كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

أما بالنسبة للملك عبدالعزيز فإنه، من خلال تجربته العسكرية، ومن خلال مجريات الأمور، كان يعلم أن مسألة قيام ابن رشيد بحملة عسكرية على الرياض هي مسألة وقت، وأنه كان يتوقع وصول هذه الحملة منذ استعادته للرياض، ولذلك كان لابد له من أن يعد العدة ويأخذ بكل أسباب القوة الممكنة سواء للدفاع عن الرياض أو لمقاومة ابن رشيد فيما لو توغل جنوباً لقتاله. وفي هذا الوقت كان الملك عبدالعزيز قد أرسل إلى والده والشيخ مبارك يخبرهم بالوضع العسكري، ويطلب قدوم والده لمساعدته فجاءه في الوقت المناسب كما ذكرنا سابقاً. وفي هذا المجال يقول الملك عبدالعزيز: "أرسلت لوالدي ولمبارك أن ابن رشيد لا بد مقبل علينا ولا أستطيع المكث في الديرة (يعني الرياض) وليس من آمنه عليها إلا والدي فليحضر فجاء الوالد بعد غزوة قام بها على شمر وكان القيظ وصل وأصبح عندنا ١٥٠ خيالاً من أهل نجد وبلغني الخبر أن ابن رشيد نزل ثادق. . ."[٢] ومن جهة أخرى، استفاد الملك عبدالعزيز من عامل الوقت فأسرع بإرسال أخيه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي إلى المناطق الجنوبية للاستعانة بالدواسر وآل مرة في أطراف الأحساء قبل أن يستنجد بهم أعوان ابن رشيد، وقد نجحت خطة الملك

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدرسابق، ص ص١٢٩-١٣٠؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٦.

عبدالعزيز في استقطاب هذه القبائل، بينما فشل ابن رشيد بسبب سوء تقدير الوقت. ولم يكتف الملك عبدالعزيز بذلك بل أرسل بعض رجاله لتتبع حركات ابن رشيد ومعرفة مدى قوته.

وفي هذا الوقت كان الإمام عبدالرحمن قد عاد إلى الرياض وأخذ دوره حامياً للعاصمة ومدافعاً عنها باعتبارها، بعد أن عادت لتوها، عاصمة للدولة السعودية الوليدة. وفي المجال الحربي لجأ الملك عبدالعزيز إلى خطة التمويه الحربي، والحرب خدعة كما يقال، عندما اتفق مع والده على خطة، أو كما يذكر الريحاني حيلة تجعل ابن رشيد يقترب من معسكرهم فيشتبكون معه ويقضون عليه، أو على الأقل يحولون دون تنفيذ خطته.[١] وتنفيذاً لهذه الخطة جمع الملك عبدالعزيز قواته وغادر الرياض بعد أن حصنها وأناب عنه والده في الدفاع عنها، بل إنه كما تذكر بعض الروايات، بعث إلى معسكر ابن رشيد من يشيع عن مدى تخوفه من ملاقاة ابن رشيد، وعن وجود خلاف بينه وبين والده. واكتملت فصول هذا التمويه ببث إشاعة بأن الإمام عبدالرحمن كان راغباً في المسالمة وطلب الأمان لأهل الرياض من ابن رشيد، وأن ابنه عبدالعزيز خرج إلى الجنوب غاضباً لأنه لم يوافق على رأي أبيه.[٢] وحيث إن الملك عبدالعزيز يحسب لكل أمر حسابه فقد أمر أحمد السديري الموجود على رأس سَرِيّة في الدلم بأن يستعد للذهاب إلى الرياض معه لو هاجم ابن رشيد الرياض، أما إذا لم يهاجم واتجه إلى الخرج فليتعقبه أهل الرياض.[٣] وهكذا، فبالإضافة إلى خطة التمويه التي أشرنا إليها، فإنه يمكن القول إن خطة الملك عبدالعزيز الحربية والاستراتيجية كانت تقوم على خطين متوازيين هما الدفاع عن الرياض في كل الأوقات، والثاني مواصلة العمل لضم البلاد النجدية. ولا شك أن العمل وفق هذه الاستراتيجية أمر مهم لإثبات قدرته على قيادة هذه الدولة في هذا الوقت بالذات، لكنه أمر يحتاج إلى إمكانات كبيرة عسكرية وبشرية.

ضم بلاد جنوبي منطقة الرياض:

وتنفيذاً للاستراتيجية الحربية التي سار عليها الملك عبدالعزيز امتداداً لنهج آبائه وأجداده في بناء

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص١٣٠.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٥؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٠؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٠. والسَرِيّة عدد من الجيش بين مئة وخمسمائة مقاتل. انظر نفس المصدر ص ١٣٤.

الدولة، بدأ بضم بلاد جنوبي نجد أولاً وهي المناطق الجنوبية من منطقة الرياض حالياً. وقد أثبتت الأحداث نجاح خطته، عندما طبق الاستراتيجية التي تبناها على أرض الواقع، حيث تمكن، بعد أن استعاد الرياض وحصّنها، أن يستعيد المناطق الجنوبية من نجد كلها في الوقت المناسب. فقد قدم عليه أهل الخرج برئاسة أميرهم عبدالله بن ناصر الحقباني وبايعوه على السمع والطاعة. وقد أبقى الملك عبدالعزيز الحقباني أميراً عليهم، كما أسند أمر القضاء إلى عبدالعزيز بن صالح الصرامي.(١) وتتبين أهمية هذه المنطقة من كونها تضم عدداً من البلاد التابعة لمنطقة الرياض حالياً مثل بلاد الخرج والحريق والحوطة والأفلاج ووادي الدواسر. ورغم كبر مساحة هذه البلاد إلا أن الملك عبدالعزيز تمكن من ضمها إلى حكمه في أقل من ستة أشهر.(٢) وبهذا استطاع أن يضم منطقة كبيرة بين الرياض والربع الخالي كانت بمثابة عمق داخلي له عندما يهاجمه ابن رشيد.(٣) ويعزى هذا النجاح السريع الذي أحرزه الملك عبدالعزيز في هذه المناطق إلى تأييد أهل هذه البلاد له بعد أن عرفوا سرعة نجاحه في استعادة الرياض، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من صفات شخصية من حصافة الرأي، والعدل، والكرم، والسخاء، والشجاعة. ومن جهة أخرى فإن بُعد هذه المناطق عن مركز ابن رشيد، وضعف نفوذه هناك، وعدم موالاة القبائل له، كلها عوامل كانت وراء نجاح الملك عبدالعزيز في هذه المناطق وفوق ذلك توفيق الله له. ولا يخفى أن الشجاعة في مثل هذه المواقف تتطلب قدراً كبيراً من الحكمة، وكانت حكمة الملك عبدالعزيز المقترنة بالشجاعة قد مكنته من أن يقدّر الوقت الذي يجب أن يتقدم فيه، ولا يتعجله قبل أوانه. ومن الأمور المهمة التي قام بها الملك عبدالعزيز في هذه المنطقة اهتمامه بالعلاقات بين القبائل ودراسة الصلات بينها، والإلمام بعاداتها وتقاليدها، وأسباب القوة والضعف لديها، وعوامل الانسجام بينها مما أوجد طاقة معنوية بالإضافة إلى القوة المادية.(٤)

---

(١) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٦. وانظر كذلك: السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٢٧. وانظر كذلك:

Lebkicher, Roy, (1950), op. cit., p. 47.

(٢) الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٢٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٧؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١ ص ١٢٥؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٩٩. وانظر: Lebkicher, Roy, (1950), op. cit., p. 46.

وبعد نجاحه السريع في بلاد جنوبي نجد اتجه الملك عبدالعزيز إلى المناطق الواقعة غرب منطقة الرياض والمسماة عالية نجد حيث توجد فئات من البادية، ولم يكن يقصد القيام بحملات منظمة ضد البلدان والقرى في تلك المناطق، بل كان يهدف من هذا التحرك إلى إظهار قوته أمام تلك القبائل البعيدة عن نفوذ ابن رشيد وهي خطوة تنظيمية أكثر منها عسكرية، فإما أن يستفيد من ولاء وخضوع هذه القبائل له، أو لإظهار قوته ونفوذه.[١]

المواجهة في الدلم والسلمية:

وكما كان متوقعاً ترك ابن رشيد حفر العتك، وقصد الرياض حيث نزل أولاً في بنبان على بعد ٦٠ كيلاً عن الرياض، ثم بعث استطلاعاته. وبعد ذلك تحرك بجموعه متوجهاً إلى قرب الرياض وذلك في شهر ربيع الأول ١٣٢٠هـ/ منتصف عام ١٩٠٢م.[٢] وهناك فوجئ بما لم يكن يتوقعه فالرياض كانت محصنة تحت قيادة الإمام عبدالرحمن ومعه حوالي ألف رجل مسلح، وبذلك كانت أكثر منعة مما عهدها أو توقعها، كما عرف أن غريمه الملك عبدالعزيز يستعد لملاقاته في الخرج. ولأنه وطّن نفسه على ملاقاة ابن سعود، أبت عليه عزته أن يظهر الذل فترك الرياض واتجه بقواته إلى الخرج حيث قام بحملات محدودة على بعض القبائل، ثم مرّ ببلدة السلمية حيث ترك فيها حامية صغيرة. وبعد ذلك واصل سيره حتى وصل إلى بلدة نعجان التي تبعد حوالي ١١٠ كيلاً جنوب الرياض، على مسيرة ساعتين من الدلم، حيث اتخذها مركزاً له. وقد كانت قوات ابن رشيد تتكون من أربعة آلاف مقاتل، وأربعة آلاف ذلول، وأربعمائة فارس.[٣]

أما الملك عبدالعزيز الذي كان في الحوطة في هذا الوقت فقد استعد للمواجهة حيث أخذ يستجمع قواته من البلاد المؤيدة له مثل الحوطة والحريق. وكان الأمير على الدلم في ذلك الوقت أحمد السديري، أحد أخوال الملك عبدالعزيز، وقد استطاع الملك عبدالعزيز أن يجمع بني تميم ويتصالح معهم وبعد ذلك ساعدوه. ورغم أنه لاقى صعوبة في بعض المناطق التي كان يوجد فيها مؤيدون لابن رشيد إلا أنه

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٦٨؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص١٠٢.

استطاع استمالة بعضهم بالإقناع، وبعضهم بالتهديد، وبعضهم بالمال حتى استطاع أن يجمع ما بين ثمانمائة إلى ألف مقاتل.[١] كما استطاع أن يجمع قريباً من هذا العدد من الحريق بعد أن بعث أخاه سعداً إليهم، فأصبح جيشه يقارب ألف وخمسمائة رجل. وبعد أن استعد للقتال وزع قواته على البلدان في إقليم الخرج على النحو التالي: سعد بن عفيصان على رأس سرية في بلدة السلمية، ومحمد السديري على رأس سرية في الدلم، وعبد الله بن جلوي على رأس سرية في بلدة العُلَيَّة[٢] ومعه أفراد من قبيلة آل شامر، وسعد بن عبدالرحمن بن فيصل في الحريق يستجمع من انضم إلى الجيش السعودي.[٣]

وبعد أن علم الملك عبدالعزيز بوصول ابن رشيد بقواته إلى بلدة نعجان سار بجيشه الذي بلغ تعداده ألفي مقاتل وعسكر في ماوان ليكون محطة تجمع لقواته، ثم غادر ماوان واتجه إلى الدلم في الليل حيث وصلها قبل الفجر ونزل ضيفاً على أميرها، وهناك قدم عليه أخوه سعد بمن معه من مقاتلي أهل الحريق. ورغم المساعي التي بذلها الملك عبدالعزيز لجمع أكبر قوة لمجابهة عدوه، إلا أن قوة الطرفين ما زالت غير متكافئة، حيث يبلغ جيش ابن رشيد حوالي أربعة آلاف ذلول، وأربعمائة خيال، بالإضافة إلى الجنود المدربين، بينما كانت قوات الملك عبدالعزيز أقل من ذلك في عدد المقاتلين البالغ عددهم حوالي ألفي مقاتل وأربعين خيالاً فقط، كما تنقصه الكثير من الإمكانات العسكرية. يضاف إلى ذلك الإعياء الشديد الذي لاقاه الملك عبدالعزيز حيث مضى عليه سبعة أيام لم ينم فيها.[٤] وفي ظهر اليوم التالي بدأت أولى المعارك بعد مناوشات بين الجانبين في نخيل الدلم تغلبت الخبرة والشجاعة وحسن التدبير لدى الملك عبدالعزيز على الكثرة. ورغم محاولات ابن رشيد لاستقطاب أهل الدلم عندما أرسل لهم رسلاً

---

(١) انظر عن هذه الأحداث: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٥؛ حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٠؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٦؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) يقول عنها ابن خميس، خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ص ١٧٥-١٧٩، هي قلعة اليمامة الحصينة، وهي تشكل أكبر هضبة في جبل اليمامة، وأمنعها وأكثرها أودية وأشدها ارتفاعاً. وهي وإن كانت داخل سلسلة جبال طويق، إلا أنها مفصولة عنه من جهاتها الأربع بفجاج تجعلها تتربع وحدها وتشرف على ما حولها. وهي تطل على وادي نساح من الجنوب، وعلى وادي نعام والحريق وأسفل الحوطة من الشمال.

(٣) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣١؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٨.

(٤) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٢؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٦.

وأغراهم بالمال والسلاح . وقال في رسالة ترغيب وجهها لهم : "الحامي (أي السور) سنبنيه لكم والبندقية ببندقيتين والريال عنه ريالين" لكن أهالي الدلم رفضوا عرض ابن رشيد وبنوا سور بلدتهم بأنفسهم، وأقاموا عليه القلاع في خلال شهر حيث انتهى بناؤه قبل أن يصل ابن رشيد، ثم ردوا على ابن رشيد جواباً على رسالته تظهر مدى ثقتهم بربهم واتكالهم عليه بقولهم "الحامي بنيناه، والسلاح شريناه، والفلوس يخلفها الله، حاربين والله عليك عوين" .[١] وهكذا استطاع الملك عبدالعزيز بإيمانه القوي بالله، ثم بصبره وحسن تخطيطه، وموالاة الأهالي هناك له، من التغلب على خصمه ابن رشيد في معركة عرفت بمعركة الدلم في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٠هـ/ يونيو ١٩٠٢م .[٢] وتأتي أهمية هذه المعركة من حيث كونها أول مرة تتم المواجهة العسكرية مباشرة بين الطرفين، حيث إن الملك عبدالعزيز استطاع استعادة الرياض قبل ستة أشهر دون مواجهة عسكرية مباشرة مع ابن رشيد الذي كان في وقتها في مقر إمارته في حائل كما أوضحنا سابقاً . ورغم هول المفاجأة من هزيمة جيشه وتشتت قواته وتفرقها في بلاد الخرج، إلا أن ابن رشيد لم ييأس من إحراز نصر على الملك عبدالعزيز خصوصاً بعد أن جاءته نجدة من بلدة نعجان . وفي الوقت نفسه وصلت إمدادات إلى ابن سعود من الدلم ومعها الذخيرة . وكان وصول هذه الإمدادات إلى الطرفين قد ألهب الحماس بين المقاتلين؛ عندما استؤنف القتال بين الجانبين من جديد في أرض تسمى المحمدي شمال الدلم حيث تمركزت قوات الملك عبدالعزيز . فبينما وقف أهل الدلم والحوطة الموالين للملك عبدالعزيز جنوبي المحمدي، تمركز ابن رشيد وجيشه شمالي المحمدي واستمر القتال إلى الليل .[٣] وقد كانت خسائر ابن رشيد في هذه المعركة قتل سبعة وجرح خمسة عشر وأسر ثمانية، بالإضافة إلى فقده الكثير من أسلحته . أما جيش الملك عبدالعزيز فقد خسر ثلاثة قتلى وجرح سبعة آخرين .[٤] ويذكر سعود ابن هذلول أن القتال استمر سجالاً بين الطرفين مدة شهر ونصف كانت الغلبة في معظم الوقت للملك عبدالعزيز حيث خسر ابن رشيد كثيراً من جنوده، ثم رحل ماراً بالسلمية .[٥]

---

(١) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٨ . وقد روى هذه المعلومات عن رجال ثقات منهم : ناصر بن راشد اليمني، وعبد العزيز بن محمد الصرامي، وسليمان بن ناصر الحقباني .

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٢ ؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٦ .

(٣) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٨ .

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٧ .

(٥) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٨ .

ونتيجة لمعركة الدلم السابقة بدأ اليأس يدب في نفوس قوات ابن رشيد، فعندما قابلته سرية من جيش الملك عبدالعزيز بقيادة سعد بن عفيصان واشتبكت معه لم يستطع الصمود فصدته عن البلدة وتراجع. وقد تأزم موقف ابن رشيد بعد أن نزل في جنوده، دون غيرهم، مرض مات منهم بإذن الله ثم بسبب هذا المرض وهم في بلاد الخرج وفي أثناء رحيلهم عدد كبير من الجنود.[١] وقد ألجأت هذه الأسباب ابن رشيد إلى التعجيل بالرحيل عائداً إلى الشمال حيث مقره السابق في الحفر. أما الملك عبدالعزيز فقد وطد نفوذه في مناطق جنوبي نجد؛ وأكد العهد بينه وبين بني تميم على الولاء والمساندة، كما دخلت كل البلاد في هذه المنطقة تحت نفوذه وأهمها الحوطة والحريق والدلم والسلمية والخرج والأفلاج، ثم عاد إلى عاصمته الرياض. ويعلل بعض المؤرخين سبب رجوعه إلى نفاد ذخائره حيث لم يبق منها ما يكفيه لمطاردة ابن رشيد.[٢] ولا يبدو هذا تعليلاً كافياً، لأن من المستبعد أن تنفد ذخيرة الملك عبدالعزيز من أول مواجهة، وهو القائد العارف باحتياجات القتال، وكان يعرف الأثر السلبي لقلة الذخيرة في جيشه. يضاف إلى ذلك أنه كان بإمكان الملك عبدالعزيز، لو كان يعتزم مطاردة ابن رشيد، أن يتزود بما يكفيه من الذخيرة من الرياض ثم يتعقب ابن رشيد الذي ارتحل إلى الشمال. ودون التفكير في تحميل النصوص ما لا تحتمل فإن الواقع أنه حصل نقص، وليس نفاداً في ذخيرة الملك عبدالعزيز التي تسمى في ذلك الوقت (الفشك)، لكن ذلك حصل في أثناء المعارك ولم يكن سبباً في اضطرار الملك عبدالعزيز إلى وقف القتال، وفي وقتها تدارك الموقف بسرعة عندما بعث رجالاً إلى الحوطة لجلب ما يحتاجه من الذخيرة. وفي هذه الأثناء هاجمهم ابن رشيد في الوقت نفسه الذي كان يجمع أمتعته منهزماً حيث اتجه إلى الخرج، وقد تبعه الملك عبدالعزيز ونازله في السلمية فأخرجه منها، ولكنه لم يتعقبه بسبب قلة خيله وركائبه.[٣] ومن جهة أخرى وتعزيزاً للرواية السابقة فإننا نعتقد أن هدف الملك عبدالعزيز في هذا الوقت هو تعزيز سلطته في بلاد جنوبي منطقة الرياض، ولم يحن الوقت لفتح جبهة جديدة قبل أن

---

(١) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٥؛ ابن ناصر، عبدالرحمن، (ت١٣٩٠هـ)، مصدر سابق، ص ٥٩.

(٢) ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٧.

(٣) حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ٢٦؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٧.

تقوى سلطته في هذه البلاد. ومن الدلائل الأخرى، أن الملك عبدالعزيز لم يبتدىء مهاجمة ابن رشيد في بلاد الخرج حتى يتبعه عند انهزامه، وإنما العكس هو الصحيح فابن رشيد هو البادئ بالهجوم حيث قطع في سبيل ذلك الفيافي والقفار. وهناك نقطة مهمة وهي أن انسحاب ابن رشيد بهذه السرعة إلى معقله قد يكون وراءه استراتيجية حربية وذلك لجر الملك عبدالعزيز إلى جهات أكثر ملاءمة لجيش ابن رشيد في وقت يحتاج فيه الملك عبدالعزيز إلى وقت طويل للوصول إليه تكون قواته قد أنهكت. ولأنه يعرف التوقيت المناسب للحرب إقداماً وتراجعاً فهو يدرك أن الوقت لم يحن وقد تأتيه طعنات من الخلف لو ابتعد عن الرياض.

وعلى العموم فإن معارك الدلم والسلمية قللت من السمعة والهيبة العسكرية التي كان ابن رشيد يتمتع بها قبل هذه المعارك. كما أن هذه المعارك غيرت ميزان القوى في الجزيرة العربية، خاصة بين القبائل التي بدأت تغير ولاءها إلى جانب الملك عبدالعزيز، بعد أن كانت سمعة وهيبة ابن رشيد هي المسيطرة على الساحة السياسية والعسكرية. ولكي يحفظ ابن رشيد ما بقي له من هيبة قام بحملات على بعض القبائل قرب الكويت، بل إنه حاصر الكويت نفسها مما دعا الشيخ مبارك الصباح أن يستنجد بالملك عبدالعزيز الذي هب لمساعدته، حيث سار على رأس حملة من العارض ثم انضمت إليه بوادي الأحساء من العجمان، وآل مرة، وبني خالد، وبني هاجر، والعوازم، والمناصير، وسبيع، والسهول، حتى بلغ جيشه قرابة عشرة آلاف مقاتل وخمسمائة خيال، كما سار معه حملة كويتية قوامها أربعة آلاف مقاتل على رأسها جابر بن مبارك الصباح. يقول الزركلي: "وما كان ابن سعود في سيره، هذه المرة، متخفياً أو ساتراً وجهته وغايته".[1] ولا شك أن قدرة الملك عبدالعزيز على حشد هذه الجموع الكثيرة من أكبر القبائل تعبّر عن مقدرته الكبيرة على استقطاب الموالين له من جهة، كما تعبر عن مدى التأييد الذي تكنه هذه القبائل للأسرة السعودية من جهة أخرى.

وعندما علم ابن رشيد بوجهة الملك عبدالعزيز غيّر خطته وقصد الرياض لكنه تظاهر أنه عائد إلى حائل، وأغار على عرب السهول. ورغم أن مهمة الملك عبدالعزيز انتهت برجوع ابن رشيد عن مهاجمة الكويت، لكنه أصابه القلق عندما بلغه أن ابن رشيد أغار على الرياض فعزم على العودة بسرعة لمقاومة

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ١٣٩. وانظر عن تحركات كل من الملك عبدالعزيز، وابن رشيد في هذه الفترة: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٩.

ابن رشيد، لكن البشرى وصلته قبل أن يتحرك بأن غارة ابن رشيد على الرياض فشلت حيث استعدوا بالقوة اللازمة بعد أن أنذرهم رجل من السهول بقرب هجوم ابن رشيد عليهم، وقد كان على رأس المدافعين عن الرياض الإمام عبدالرحمن، وعبد الله بن سعود بن صنيتان، ومحمد بن حسن بن مشاري، وإبراهيم بن ثنيان، وكثير من عرب سبيع، وبعد أن تمكن حماة الرياض من صد ابن رشيد عنها، أرسلوا بالخبر إلى الملك عبدالعزيز. وقد استبشر بهذه النتيجة وعاد إلى الكويت حيث اصطحب بقية عائلته التي كانت لا تزال موجودة في الكويت. أما ابن رشيد فلم يرد أن يرجع بدون قتال، حيث نزل في السويدي جنوب الرياض وأخذ جنوده يعيثون في الأرض فساداً، يقطعون النخيل ويخرّبون المزارع، فاشتبك معهم أهل الرياض وأوقعوا فيهم بعض الخسائر في الأرواح.[1]

ضم بلاد شمالي منطقة الرياض:

كان انتصار الملك عبدالعزيز على ابن رشيد في أول مواجهة عسكرية بينهما في الدلم عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م وما تبعها من أحداث، ثم رجوعه عن مهاجمة الكويت، وفشل غارته على الرياض، كل هذه الأحداث المتتابعة تعتبر دعماً معنوياً واستراتيجياً للملك عبدالعزيز في جهوده لإعادة كيان الدولة السعودية المعاصرة. ومن جهة أخرى زادت هذه التطورات الحربية من عزيمة المؤيدين للدولة السعودية، كما ثبطت من عزيمة المناوئين لها.

وبعد أن استطاع الملك عبدالعزيز أن يؤمن مناطق جنوبي نجد وجه اهتمامه إلى ضم المناطق الواقعة شمالي بلاد نجد، وأهمها بلاد الوشم وسدير التابعة لمنطقة الرياض حالياً. ومنذ أن نجح الملك عبدالعزيز في استعادة الرياض وما تلاها من انتصارات في بلاد جنوبي منطقة الرياض تشجع الموالون للدولة السعودية في المناطق الأخرى وبدؤوا يمهدون لعودة الحكم السعودي لمناطقهم، ومن هذه المناطق بلاد الوشم وسدير التي كان غالب أهلها يودون عودة الحكم السعودي.

---

(١) ويذكر الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٤، أن ابن رشيد عندما فشل في الهجوم على الرياض نقل معسكره إلى نخيل تبعد ساعة عن المدينة، ويبدو أن المقصود بها نخل السويدي، وأقام هناك ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة. ولمزيد من التفاصيل عن الأحداث في هذه الفترة راجع: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢)، مصدر سابق، ص ٥٩؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٣٩-١٤١. وانظر المزيد من الدروس المستفادة من معارك جنوبي نجد في: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٤.

ضم شقراء وثرمدا:

عندما بلغ ابن رشيد أن الملك عبدالعزيز يخطط لضم القصيم أراد أن يقطع عليه خط الرجعة وأن يثبت وجوده في الأقاليم الشمالية من منطقة الرياض، خاصة إقليمي الوشم وسدير، فسار إلى الوشم عن طريق ضرما. ويبدو أن ولاء معظم أهل الوشم للدولة السعودية قد خيب آمال ابن رشيد. ففي شهر ذي القعدة عام ١٣٢٠هـ/ فبراير ١٩٠٣م، وبمساعدة من مساعد بن سويلم الذي كان قد أرسله الإمام عبدالرحمن لنجدتهم ولتأكيد ضم بلاد شمال الرياض إلى الدولة السعودية، قام بعض أهل شقراء المؤيدون للدولة السعودية على عبدالله الصويغ، أمير شقراء من قبل ابن رشيد، وأخرجوه من بلدتهم بعد أن ضجروا من تصرفاته وتعديه على بعض الناس، فسار هو وأتباعه على ركائبهم وأخذوا حاجاتهم قاصدين المجمعة، ولم يتعرض لهم أهل شقراء بسوء، وبذلك دخلت شقراء تحت نفوذ الدولة السعودية برغبة من أهلها.(١)

وكان أمير ثرمدا مشاري بن عبدالرحمن العنقري يقف في صف ابن رشيد، وعندما علم بإخراج أهل شقراء لعبد الله الصويغ وأعوانه لحقهم رسوله فأدركهم قرب بلدة أشيقر وطلب منهم العودة إلى ثرمدا. وبعد عدة أيام أرسل إليهم الإمام عبد الرحمن سرية دخلت البلدة وتمكنت بمساعدة من بعض أهالي ثرمدا من القبض على عبدالله الصويغ واثني عشر رجلاً من أعوانه حيث قتلوهم بعد ذلك جزاء خروجهم على الدولة، كما قبضوا على أمير ثرمدا مشاري العنقري ونقل إلى الرياض حيث سجن هناك.(٢)

وعندما علم ابن رشيد بما حل بأتباعه في شقراء وثرمدا أسرع في مهاجمة مساعد بن سويلم في ثرمدا حتى تمكن من إخراجه منها، فاتجه ابن سويلم إلى شقراء فتحصن بها انتظاراً لنجدة تأتيه من الرياض، لكن ابن رشيد حاصره هناك. ورغم هذه التحركات التي قام بها ابن رشيد، إلا أنه يبدو أنه كان متألماً لفقد نفوذه في منطقة الوشم، وأصبح خائفاً من فقد أهم منطقة بقيت تحت نفوذه وهي منطقة

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٢) بقي مشاري العنقري في سجنه بالرياض حتى توفي في عام ١٣٢٢هـ. وللمزيد من المعلومات عن الأحداث في هذه الفترة راجع: آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٦؛ العُبَيِّد، محمد العلي، (مخطوط) مصدر سابق، ص ١٢٤؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٤٣-١٤٤؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ص ١٣٤-١٣٥؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٥٩؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٨.

القصيم، ولذلك بدأ بالقيام بإجراءات دفاعية، حيث عزز موقفه في كل من بريدة وعنيزة. وفي الوقت نفسه كان ابن رشيد ما يزال يأمل في تغيير الوضع القائم في منطقة الوشم وسدير لصالحه من خلال قيامه ببعض الحركات العسكرية بعيداً عن مجابهة مكشوفة مع الملك عبدالعزيز. ولتحقيق هذا الهدف بعث سرية قوامها أربعمائة مقاتل بقيادة حسين بن جراد لترابط في إقليم السر، ثم توجه إلى العراق يستنجد بالدولة العثمانية لمساعدته ضد الملك عبدالعزيز، وفي الوقت نفسه أراد أن يستنهض القبائل الموالية له وخاصة شمر. وقد حفزت إجراءات ابن رشيد هذه الملك عبدالعزيز على أخذ زمام المبادرة وإظهار مدى قوة الدولة وخاصة في إقليم الوشم. ففي شهر ذي الحجة عام ١٣٢١هـ/ فبراير ١٩٠٤م سار الملك عبدالعزيز إلى الوشم على رأس حملة قوامها نحو خمسمائة رجل من أهل العارض، كما كان معه عدد من رجال عتيبة، وفي شقراء انضم إليه زعماء القصيم، آل سليم وآل أبا الخيل وأتباعهم وعددهم نحو مائتين وخمسين رجلاً. وفي الطريق علم بنزول حسين بن جراد وأتباعه في فيضة السر، وحيث إن وجودهم في منطقة أصبحت موالية للدولة السعودية يعتبر عملية عدائية من قبل ابن رشيد، لذلك صمم الملك عبدالعزيز على طردهم من هناك وإثبات وجود الدولة السعودية وهيمنتها على منطقة الوشم بأكملها. ولذلك توجه الملك عبدالعزيز من شقراء لمقابلة ابن جراد بالقرب من الفيضة حيث فاجأوه قبل أن يقوم بأي عمل عسكري، وقد جرى بين الطرفين مجابهة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة قتل فيها حسين بن جراد وابن عمه حمود وعدد من جيشه، كما غنم الجيش السعودي ركائبهم وأسلحتهم وأثاثهم، وبعد ذلك رجع الملك عبدالعزيز إلى الرياض.(١)

ولا شك أن موقعة فيضة السر ضد ابن جراد نبهت الملك عبدالعزيز إلى أن ابن رشيد ما زال يملك القوة والإمكانات التي تؤهله لقلب موازين القوى في المناطق التي ما زالت حديثة عهد بالانضمام إلى الدولة السعودية، ولذلك بدأ الملك عبدالعزيز يخطط فعلياً لضم منطقة القصيم كي يؤمن منطقة الوشم وسدير من جهة، ولكسب مواقف أهل القصيم الذين ما زالوا في قبضة ابن رشيد من جهة أخرى. وعلى العموم فقد بينت هذه الأحداث مدى نفوذ الملك عبدالعزيز في مناطق شمال نجد حيث تمكن من

---

(١) تذكر بعض المصادر، ومنهم آل بسام، أن وقعة فيضة السر ضد حسين بن جراد كانت في شهر ذي القعدة. انظر عن هذه الأحداث: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص؛ الريحاني؛ أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٧؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ٢٠٨؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٥؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، المرجع السابق، ج٢، ص ص ٧٦-٧٧.

ضم بلاد شقراء وثرمدا بالإضافة إلى تمكن مساعد بن سويلم من ضم إقليمي المحمل والشعيب ودخولهما تحت النفوذ السعودي بدون مقاومة تذكر.[١]

والواقع أن الملك عبدالعزيز لم يجد صعوبة في ضم تلك المناطق لسببين: أولهما، أن أغلب أهل هذه المناطق كانوا دائماً موالين للحكم السعودي، وثانيهما، أن أهلها اطمأنوا لقوة الملك عبدالعزيز بعد انتصاره على قوة ابن رشيد في الدلم والسلمية وما تبعهما من أحداث.

استعادة ثرمدا:

وكما كان متوقعاً فإن ابن رشيد لم يهدأ له بال وهو يرى البلاد التابعة له تتهاوى الواحدة تلو الأخرى بيد الملك عبدالعزيز في وقت وجيز، ولذلك بدأ يعد خططه لاستعادة ما يمكن استعادته من مناطق شمال نجد. فبعد أن هاجم بعض القبائل في منطقة الوشم توجه إلى شقراء وحاول استمالة أهلها لكنه فشل، فتركها وتوجه إلى ثرمدا حيث تمكن من استردادها وعين عليها أحد أتباعه، وهو عبدالله بن عسكر، ثم بعث سرية بقيادة سالم بن سبهان مع حوالي سبعين فارساً فأغاروا على شقراء وحاصروا سرية للملك عبدالعزيز بقيادة مساعد بن عبدالمحسن بن سويلم وبعض الموالين للدولة السعودية من أهل بلدان الوشم وسدير وعددهم حوالي مائة وخمسين رجلاً، وقد استطاع أهل شقراء أن يصدوهم فتوجهوا إلى بلدة أشيقر، وفي اليوم التالي أغاروا مرة ثانية على شقراء فقاومهم أهل البلد وهزموهم فرجعوا إلى ثرمدا.[٢]

ولتثبيت وجوده هناك، أمر ابن رشيد ببناء قصر في ثرمدا ليتحصن فيه أتباعه، ثم توجه إلى شقراء في أول شهر صفر عام ١٣٢١هـ/ مايو ١٩٠٣م، ونزل في قصورها المعروفة في الفيضة، ثم حصل بينه وبين أهلها قتال، وبعد ذلك أمر أن يحضر إليه من كل بلد من إقليم الوشم عدة رجال. وفي هذا الوقت أرسل سرية مع أحد عبيده، ويسمى عطا الله، للهجوم على المقاتلين من أهل شقراء المرابطين في المرقب

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ص ١٤٣-١٤٤؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، المرجع السابق، ج٢، ص ص٦٩-٧٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، المصدر السابق، ، ج١، ص ص ١٤٣-١٤٤؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٦؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٨.

الشمالي وعددهم ستة رجال، وقد فاجأت السرية المرابطين وهم نائمين، لكنهم تنبهوا للهجوم وقاوموا المعتدين وقتلوا قائد السرية، كما قام أهل شقراء بعد ذلك بتحصين المرقب وزيادة بنائه. وعندما يئس ابن رشيد من خضوع أهل شقراء قطع نخيل الفيضة ونخل السفيلاء المعروفة هناك، ثم تركها في آخر شهر صفر وتوجه إلى القصيم. وقبل رحيله وضع في القصر الذي بناه في ثرمدا عدة رجال من الموالين له برئاسة حمد بن سليمان بن عسكر أمير المجمعة.[١]

وإزاء هذا الموقف الجديد والخطير في الوقت نفسه، بدأ الملك عبدالعزيز، بعد رجوعه من الكويت، يخطط لاحتواء الموقف ومساعدة الحامية السعودية في شقراء، وفي الوقت نفسه العمل على دعم نفوذ الدولة في هذه البلاد، حيث قام على رأس حملة عسكرية إلى شقراء، وما إن وصل إلى حريملاء حتى بلغه الخبر أن ابن رشيد فك الحصار عن شقراء ورحل إلى الغاط، لكن الملك عبدالعزيز واصل مسيره حتى وصل إلى شقراء وثبت نفوذه هناك.[٢] ومن الخطوات السريعة التي قام بها في هذا المجال إرساله سرية بقيادة عبدالله بن جلوي مع عدد من الجنود إلى ثرمدا، حيث كانت سرية لابن رشيد لا تزال هناك، فقام ابن جلوي بإعطاء الأمان لأهلها إذا استسلموا بدون قتال، وهي السياسة التي طبقها الملك عبدالعزيز في حروبه كلها تقريباً. ويبدو أن أهلها لم يستجيبوا فاضطر عبدالله بن جلوي لمحاصرتها خمسة عشر يوماً حتى استطاع دخولها، ثم تحصن بعض مقاتليها في داخل قصر ثرمدا مدة ثلاثة أيام فهجم عليهم بالليل مما اضطرهم إلى إخلاء البلدة، كما هرب الباقون من خلال ثغرة فتحوها في جدار القصر. وقد قتل في هذه الواقعة عدة رجال من أهل ثرمدا، بينما قتل من أتباع عبدالله بن جلوي خمسة رجال من بينهم منصور بن حمزة الذي كان له دور كبير في حروب الملك عبدالعزيز، وكان من الستين الذين كان لهم الشرف في استعادة الرياض.[٣]

ضم بلدة القصب:

أرسل الملك عبدالعزيز كتاباً إلى أهل القصب يخبرهم بعزمه القدوم إليهم، وقد وصل في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، حيث نزل في شمالها الغربي في مكان يسمى قَطْر. وهناك قدم له أمير بلدة

---

(١) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ٢٠٦؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، المصدر السابق، ص ١٣٥؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ص ٥٩-٦٠؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٩.

القصب وأهلها الطاعة والولاء، وبعد إقامته عندهم عدة أيام غادر الملك عبدالعزيز بلدة القصب.[١]

ضم بلاد سدير:

كانت بلاد سدير موالية للدولة السعودية، وكان فيها سريتان الأولى في بلدة الروضة تحت قيادة فهد ابن إبراهيم بن مشاري، أحد الستين الذين شاركوا في استعادة الرياض، والثانية في جلاجل تحت قيادة مساعد السديري. وخلال الفترة الأخيرة من الأحداث التي شهدتها بلاد الوشم ارتحل ابن رشيد، الذي كان متوجوداً في بلاد سدير، من الغاط إلى القصيم عندما علم باستسلام ثرمدا، وكان قد حاصر بلدة الروضة. ويبدو من مجمل الأحداث أن ابن رشيد كان يتحاشى مقابلة الملك عبدالعزيز في حرب مكشوفة، ولذلك فإنه عندما علم بهزيمة أعوانه في ثرمدا وأن الملك عبدالعزيز يستعد لمهاجمته بقوات يقودها بنفسه أسرع ابن رشيد لفك الحصار عن بلدة الروضة. وفي الوقت نفسه أرسل سريتين إلى بلاد سدير إحداها إلى المجمعة، والأخرى إلى بلدة الروضة. ومرة أخرى استغل ابن رشيد فرصة عودة الملك عبدالعزيز إلى الرياض حيث قام بحملة من القصيم متجهاً إلى قبائل عتيبة، وقحطان، الموالية للملك عبدالعزيز، ثم حاصر بلدة التويم في سدير ونصب عليها المدافع لكنه لم يتمكن من دخولها. وبعد عدة أيام من حصارها تركها واتجه إلى القصيم ليرتب دفاعاته لعلمه أن القصيم سيكون خط المواجهة المقبلة بينه وبين الملك عبدالعزيز.[٢] وعندما علم الملك عبدالعزيز جهز قوة كبيرة كان هو على رأسها متجهاً إلى بلاد سدير، وفي ثادق بلغه أن أهالي الوشم بالتعاون مع أمير شقراء أحمد السديري سبقوا لنجدة بلدة التويم وتمكنوا من رد قوات ابن رشيد عنها حيث رحل إلى الأرطاوية، بينما رحل الملك عبدالعزيز إلى بلدة جلاجل، ومن هناك أخذ يضع الخطط لاستعادة القصيم.[٣] ولتمكين هيبة الدولة هناك جهز الملك عبدالعزيز أربع سرايا لتخليص بلاد الوشم وسدير من قوات ابن رشيد. فبعث سريتين بقيادة أحمد السديري إحداهما إلى بلدة الروضة في سدير حيث تمكن من هزيمة سرية ابن رشيد الموجودة فيها ثم عين

---

(١) الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، **القصب**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص٥٧.

(٢) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٧؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣) استمرت العمليات الحربية بين الملك عبدالعزيز وابن رشيد التي تلت هذه المرحلة وما بعدها حتى تم ضم القصيم. وللمزيد من المعلومات انظر: ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ص ٦٠-٦١.

عليها فهد بن إبراهيم بن مشاري، والثانية ذهب بها إلى المجمعة لكنه لم يتمكن من استعادتها بسبب موالاة بعض أهلها لابن رشيد. أما السرية الثالثة فقد تمكنت من استعادة بلدة الغاط، وتمكنت السرية الرابعة من استعادة بلدة جلاجل.[١]

ضم المجمعة:

وهكذا دخلت بلاد الوشم وسدير تحت الحكم السعودي ما عدا بلدة المجمعة التي تأخر انضمامها إلى الدولة السعودية بعض الوقت رغم قناعة أهلها بأن مصيرهم مرتبط بالبلاد الأخرى في منطقة سدير. وقد حاول الملك عبدالعزيز استقطاب أهلها للدخول في طاعته، ففي طريقه إلى القصيم بلغه أن ابن رشيد ارتحل إلى القصيم ماراً بالزلفي، فسار الملك عبدالعزيز من ثادق إلى جلاجل فأقام فيها عشرين يوماً، ثم غادرها على رأس جيشه إلى المجمعة، وهناك اتفق مع أهل المجمعة على التسليم له إذا استولى على القصيم.[٢] وبحسب وضع المجمعة يبدو أن سلطة ابن رشيد فيها ما زالت قوية، وأن معظم أهلها ما زالوا موالين لابن رشيد، إما خوفاً أو طمعاً، ولهذا بقيت المجمعة خارج نفوذ الدولة السعودية.[٣] وحيث إنها لم تقم بأي عمل عدائي ضد الدولة السعودية فقد ترك الملك عبدالعزيز أمر عودتها إلى الحكم السعودي للزمن. ولم يطل هذا الزمن فقد تطورت الأحداث بعد ضم الملك عبدالعزيز القصيم ومقتل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، حيث تولى إمارة حائل في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م سلطان بن حمود بن رشيد بعد مؤامرة دبرها للتخلص من الأمير السابق متعب بن عبدالعزيز بن رشيد، ورغم تظاهره بالمسالمة وطلب الصلح من الملك عبدالعزيز، إلا أنه كان يبطن خلاف ذلك، حيث بدأ يعقد تحالفات مع بعض الزعماء، ومع بعض رؤساء القبائل ضد الملك عبدالعزيز الذي كانت كفته هي الراجحة. ودون الدخول في التفاصيل التي لا تدخل في نطاق هذا البحث، وقعت معركة بين رجال الملك عبدالعزيز وجنود بعض زعماء القبائل الموالية لابن رشيد، وخاصة فيصل الدويش بمساعدة من رجال حامية ابن رشيد في المجمعة، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الجيش السعودي. وبذلك انضمت المجمعة نهائياً للدولة

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٤؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٥؛ ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٣٦.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٩.

السعودية في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٥هـ/ أبريل ١٩٠٧م.[١]

ضم الزلفي:

تعتبر الزلفي إحدى بلدان سدير حسب التنظيمات الإدارية في عهد الملك عبدالعزيز[٢]. ومن خلال الأحداث السابقة تبين رجحان كفة الملك عبدالعزيز حيث كان الموالون للدولة السعودية يتسابقون للدفاع عن بلادهم ضد قوات ابن رشيد. وفي هذا الوقت أراد الملك عبدالعزيز أن يدعم صمودهم فتوجه إلى بلاد سدير في شهر شعبان ١٣٢١هـ، حيث نزل على بلدة جلاجل، ثم ارتحل منها إلى بلدة حرمة. ومن هناك قام عثمان بن محمد بن ناصر من أهل الزلفي مع عدد من الرجال من أهل الرياض وهاجموا محمد ابن راشد آل سلمان أمير الزلفي وقتلوه، ثم أرسلوا إلى الملك عبدالعزيز يستحثونه بسرعة القدوم إليهم، وكان على مشارف الزلفي عندما جاءه الرسول، وكان معه في ذلك الوقت آل سليم زعماء عنيزة وآل أبا الخيل زعماء بريدة الذين قدموا من الكويت ووافوا الملك عبدالعزيز في سدير. وفي أول شهر رمضان عام ١٣٢١هـ/ ديسمبر ١٩٠٣م وصل الملك عبدالعزيز إلى الزلفي. وعندما علم ابن رشيد بوجود زعماء القصيم برفقة الملك عبدالعزيز في الزلفي أراد أن يثبت وجوده وسيطرته على بلاد القصيم فبعث فهيد آل سبهان إلى عنيزة ومعه سبعين رجلاً وطلب منهم الإقامة في قصرها ففعلوا. ولما كان الملك عبدالعزيز يحسب لكل خطوة حسابها، أدرك أن المجابهة مع ابن رشيد في القصيم لم تحن بعد، وأن البقاء في الزلفي غير ممكن بسبب القحط الذي حل بالبلاد في ذلك الوقت، لذلك طلب من زعماء القصيم المرافقين له التوجه إلى الوشم في يوم ٢٥ من شهر رمضان، وعندما وصلوا إلى بلدة القصب طلب منهم التوجه إلى شقراء للإقامة فيها فارتحلوا إلى هناك، بينما عاد الملك عبدالعزيز إلى الرياض.[٣]

---

(١) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ١٦٩؛ آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢١٥.

(٢) كانت الزلفي تابعة لإمارة سدير حسب التنظيم الإداري الذي كان معمولاً به في عهد الملك عبدالعزيز وقد استمر هذا الوضع حتى عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م؛ حيث قسمت المملكة إلى إمارات ترتبط بوزارة الداخلية؛ وفيها أصبحت الزلفي تابعة لإمارة منطقة الرياض ومازالت. راجع: العتيبي، إبراهيم بن عويض، (١٤١٧هـ)، **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، ١٣٤٣-١٣٧٣هـ**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ص ص ١٩٦-٢٠٢؛ أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبة جزيرة العرب**، جـ٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الثانية، القاهرة، ص ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، (ت ١٣٤٦هـ)، المصدر السابق، ص ص ٢٠٧- ٢٠٨.

وهكذا يتضح من هذه العمليات الحربية مقدرة قوات الملك عبدالعزيز من أخذ زمام المبادرة والتغلب على قوات ابن رشيد التي أصابها الوهن وانحطت معنوياتها بسبب الهزائم المتلاحقة التي مُنيت بها في بلاد جنوبي نجد أولاً، ثم في بلاد الوشم وسدير ثانياً. ويبدو أن ابن رشيد اقتنع في النهاية بعدم جدوى مواجهة ابن سعود في مناطق موالية له، لكنه مازال يتحين الفرص لمهاجمة تلك البلدان. أما الملك عبدالعزيز فإنه بعد أن سوى أمور بلاد الوشم وسدير وولى قائده أحمد السديري على إمارة شقراء، عاد إلى الرياض يتابع تحركات ابن رشيد من جهة، ويخطط لعملياته الحربية المستقبلية، التي تدل استراتيجيته الحربية على أنها ستكون في القصيم، من جهة أخرى.

وبذلك يتضح من مجمل حملات الدولة السعودية على بلاد شمال نجد أن ميول أهلها كانت مع الدولة السعودية وأن ما واجهته من مقاومة كان مصدره ولاة ابن رشيد على بعض بلدان هذه الأقاليم. وهذا يبين السر في أن كثيراً من بلاد الوشم وسدير انضمت تلقائياً إلى الدولة السعودية دون أن تحتاج إلى حملات عسكرية مثل أشيقر، وضرما، ومرات، والغاط، وغيرها من البلاد الصغيرة.

ومن جهة أخرى استطاع الملك عبدالعزيز خلال هذا الوقت أن يلقى تأييد معظم القبائل وولاءها في الجنوب والشرق والشمال، مثل عتيبة، والدواسر، وسبيع، والعجمان، وآل مرة، ومطير، ولم يبق خارج الدائرة سوى قبائل قحطان، وحرب، والضفير، وشمر، لكنها جميعاً انضمت إلى الركب بعد ذلك.[1] وهكذا خضعت كل بلاد نجد الوسطى والجنوبية والشمالية، التي تضم أقاليم الرياض، والخرج، الوشم، وسدير، والشعيب، والمحمل، والزلفي إلى الحكم السعودي بزعامة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل آل سعود بعد ثلاث عشرة سنة من خروج والده الإمام عبدالرحمن الفيصل آخر حكام الدولة السعودية الثانية. وبذلك أصبحت منطقة الرياض، كما كانت في السابق، عصب الدولة السعودية الحديثة التي انطلق منها الملك عبدالعزيز يضم ويوحد بقية بلاد شبه الجزيرة العربية.

وابتداءً من منتصف الثلاثينات من القرن الرابع عشر الهجري/ أوائل القرن العشرين الميلادي تبلورت الخريطة السياسية للدولة السعودية في عهد الملك عبدالعزيز، وقد تم ذلك بعد أن ضم إلى منطقة الرياض أغلب منطقة نجد، وخصوصاً بعد ضمه منطقة القصيم الغنية بمواردها الاقتصادية ونشاطها

---

(1) Lorimer, J.G, (1986), op. cit. p. 1144.

لوريمر النسخة المعربة، ص ١٧٠٠.

التجاري وكثرة سكانها. ورغم أن ابن رشيد ما زال يسيطر على منطقة جبل شمر متخذاً من حائل مقراً له، إلا أن الملك عبدالعزيز أدرك أن الوقت لم يحن بعد للتصدي له مفضلاً التريث وضم مناطق جديدة تزيد من قوة الدولة اقتصادياً واستراتيجياً، المتمثل بمنطقة الأحساء وساحلها الشرقي. وقد تحقق ذلك بالفعل في بداية الأربعينات من القرن نفسه وبالتحديد في عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، وفي عام ١٣٣٨هـ تمكن من استعادة بلاد عسير في جنوب غرب المملكة. وفي عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م تمكن الملك عبدالعزيز من إستعادة جبل شمر، وفي الفترة نفسها بدأ يوجه اهتمامه إلى الحجاز الذي اكتمل ضمه إلى الدولة السعودية في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.

ورغم أن عملية ضم البلاد بعضهاإلى بعض وتوحيدها في دولة واحدة احتاجت وقتاً وجهداً طويلاً، إلا أن المحافظة على هذا الكيان، وتعزيز الروابط بين أبنائه، لا يقل عن توحيد البلاد أهمية، بل إنه يعتبر صمام الأمان لبقاء هذه الوحدة عامرة بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. لقد واجه الملك عبدالعزيز بعض المشكلات الناتجة عن الإرث السياسي والاجتماعي الذي تولد عبر سنوات من الفوضى والإحن، وانعدام الأمن خلال الفترة التي أعقبت سقوط الدولة السعودية الثانية. وقد حدثت بعض هذه المشكلات خلال عملية توحيد البلاد، وبعضها الآخر نشأ بالتدريج حتى تفاقم خطرها فيما بعد. ولخطورة هذه المشكلات من جهة ولحرص الملك عبدالعزيز على تماسك بناء الدولة فقد عالجها بما عرف عنه من حزم وحكمة وروية.

obeikan.com

المبحث الرابع

بعض الجوانب الإدارية والحضارية في منطقة الرياض

كانت الأساليب الحضارية الحديثة في منطقة الرياض عند قيام الدولة السعودية المعاصرة تقليدية، بعضها اعتمد على ما تعارف عليه الناس في البلاد، وبعضها كان محاكاة لما هو موجود في البلاد المجاورة على أطراف شبه الجزيرة العربية، مثل بلاد الشام والعراق. وقليل منها أُقتبس من البلاد المجاورة خارج الجزيرة العربية. وتمشياً مع خطة هذا الكتاب سنتناول البدايات الأولى لهذه الجوانب الحضارية خلال فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة من زاوية تاريخية بحتة؛ ليكون توطئة لما سيُبحث بشكل أعمق في الفصول التالية من هذا الكتاب. وسنركز على منطقة الرياض قدر الإمكان، إلا ما كان له ارتباط لا يمكن إيضاحه إلا من خلال التطرق إلى الأساليب الحضارية في الدولة بشكل عام.

الجوانب الإدارية:

لقد ارتبط النظام الإداري في بداية عهد الملك عبدالعزيز بما كان سائداً في عهد الدولة السعودية الأولى والثانية، حيث كان الإمام في الغالب هو رأس السلطة الإدارية، وهو الذي يعين الأمراء في الأقاليم، ويصدر إليهم تعليماته وتوجيهاته مباشرة. وقد استمر هذا النهج في عهد الملك عبدالعزيز حيث ينوب أمراء الأقاليم عن الملك في إدارة أقاليم الدولة، ويعتبر أمير الإقليم ممثلاً شخصياً له، وكان يمارس الصلاحيات المحددة التي تصدر إليه من ولي الأمر، ما عدا أمور الدولة العسكرية والسياسية فيتولى أمورها الملك بنفسه، مما حقق وحدة أقاليم الدولة.[(١)] وخلال عملية توحيد البلاد التي استمرت حوالي خمساً وعشرين سنة لم يحدث تطور واضح للنظام الإداري بمفهومه الحديث في الدولة السعودية المعاصرة، وخاصة في إقليم نجد، حيث كان الملك عبدالعزيز يتّبع طريقة المجالس المفتوحة للعامة والخاصة، بالإضافة إلى أن تواجده في الرياض كان يساعد على سرعة اتخاذ القرارات الإدارية.[(٢)]

---

(١) الجهني، عيد مسعود، (١٤٠٤هـ)، **مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية**، دار تهامة، جدة، ص ص ٦١-٦٢.

(٢) الشعيبي، صالح المحمد، (١٤٠٧هـ)، **ملامح السياسة المالية والإدارية في المملكة العربية السعودية**، مكتبة الخريجي، الرياض، ص ٤٧.

وبعد توحيد البلاد وتعديل اسمها إلى المملكة العربية السعودية بموجب مرسوم ملكي بتاريخ ٢١ جماد الأولى عام ١٣٥١هـ/ سبتمبر ١٩٣٢م، وفيه أقرت الأقسام الإدارية التي كان معمولاً بها من قبل. ومن بين عدة أقاليم تشملها المملكة، يُعد إقليم نجد المركز الرئيس للسلطة العليا برئاسة الملك عبدالعزيز وكان يشرف على الأمور الإدارية فيها ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز، ومقره في مدينة الرياض، وهو يرتبط مباشرة بالملك، ويرجع إليه جميع أمراء ورؤساء هذا الإقليم.(١)

وقد قسم إقليم نجد إلى عدد من الإمارات الكبير، التي يتبعها عدد من الإمارات الصغيرة. وبالنسبة لإمارة منطقة الرياض كانت تسمى إمارة نجد أو العارض ومقرها الرياض ويتبعها عدد من الإمارات مثل: إمارة الرياض، الحوطة، الحريق، وادي الدواسر، الوشم، سدير، المحمل.(٢)

وتعتبر منطقة الرياض من أهم المناطق الإدارية في المملكة العربية السعودية، حيث كانت نواة الدولة السعودية المعاصرة عند قيامها على يد الملك عبدالعزيز، وفيها عاصمة الدولة، ولذلك سرعان ما تطورت لتشمل عدداً من البلدان التابعة لإمارة هذه المنطقة. ويعتبر أمير المنطقة، وعلى نطاق أدنى أمير المدينة أو القرية، هو الحاكم الإداري، وهو المسؤول الأول عن جميع أمورها الداخلية، وإليه يرجع القاضي والمسؤول المالي، كما كان يشرف على تنفيذ الأحكام الشرعية، وتطبيق الأنظمة والتعليمات التي تصدر إليه من ولي الأمر.(٣)

وأول من تولى إمارة منطقة الرياض من أبناء الملك عبدالعزيز هو صاحب السمو الملكي الأمير ناصر ابن عبدالعزيز، وذلك عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً. وقد بذل جهوده لتطوير العمل الإداري في هذه الإمارة من النظام التقليدي القديم إلى الأخذ بالأساليب الحديثة في الإدارة في ذلك الوقت. وكان ذا شخصية قوية تمكن من بسط سلطة الدولة ممثلة في شخصية الأمير مما

---

(١) صحيفة أم القرى، عدد ٤٠٦ تاريخ ٢٢ جماد الأولى ١٣٥١هـ؛ العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٩٦-٢٠٢؛ أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، مرجع سابق، ص ص ٥١٢-٥١٣.

(٢) ورد ذلك في التقسيمات الإدارة للمملكة بموجب المرسوم الملكي الصادر في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ/ سبتمبر ١٩٣٢م. راجع: صحيفة أم القرى، العدد ٤٠٦ بتاريخ ١٣٢١هـ.

(٣) صادق، محمد توفيق، (١٣٨٥هـ)، **تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية**، معهد الإدارة العامة، الرياض، ص ٢٤.

أدى إلى بث الأمن في مدينة الرياض وما حولها، وفي جميع البلاد التابعة لإمارة منطقة الرياض. وقد ظل الأمير ناصر بن عبدالعزيز أميراً للرياض حتى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.(١)

وفي ١ ربيع الآخر عام ١٣٦٦هـ، ٢٢ فبراير ١٩٤٧م عين الملك عبدالعزيز صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة الرياض، حيث كان هذا المنصب أول عمل حكومي قام به وكان عمره عشرين سنة. وخلال عمله في الإمارة عمل كل جهده للرفع من مستوى العمل الإداري في إمارة منطقة الرياض، وساهم مع والده في إقامة نظام إداري مبني على العدالة الاجتماعية وتطبيق الشريعة الإسلامية. وقد استمر الأمير سلطان بن عبدالعزيز في عمله حتى عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.(٢)

وبعد الأمير سلطان، وخلال عهد والده، تولى صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز إمارة الرياض عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، وكان عمره في ذلك الوقت سبعة عشر عاماً. وقد ظل في منصبه هذا حتى عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.(٣)

وفي بداية عهد الملك سعود عين صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة الرياض عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، خلفاً لأخيه الأمير نايف بن عبدالعزيز، وكان عمره آنذاك تسعة عشر عاماً. وقد استمر أميراً لمنطقة الرياض حتى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.(٤)

وفي عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م عهد الملك سعود إلى صاحب السمو الملكي الأمير فواز بن عبدالعزيز إمارة منطقة الرياض مدة عام، وخلفه الأمير بدر بن سعود بن عبدالعزيز لمدة عام أيضاً.(٥)

---

(١) انظر: البديوي، محمد منير، (١٣٩٧)، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **الرياض**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص٧٩-٨٤، ص ٥٢.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، **سلطان بن عبدالعزيز**، موسسة أعمال الموسوعة، ج ١٣، ص ٥٣؛ الإعلام الداخلي، (١٤٠٩هـ)، **هذه بلادنا**، وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، الرياض، ص ٤١.

(٣) انظر: البديوي، محمد مني، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق ٢٨٥؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٥٢؛ أمانة مدينة الرياض، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٤) إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ الكليب، فهد ابن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٥٢؛ أمانة مدينة الرياض، مرجع سابق، ص ص ٢٨-٢٩؛ صحيفة الندوة، العدد ١٤٩٩ بتاريخ ١٣/ ٧/ ١٣٧٣هـ.

(٥) البديوي، محمد منير، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص ٢٨٤؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ) مرجع سابق ص ٥٢؛ آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، **آل الشيخ**، الطبعة الثانية، الرياض ص ص ٣١-٣٢؛ المكي، عبدالفتاح حسين، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ أمراء البلد الحرام، عبر عصور الإسلام**، مكتبة المعارف، الطائف ص ص ٤٩٣-٤٩٦.

في عام ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م عاد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أميراً لمنطقة الرياض للمرة الثانية وما زال يقوم بهذه المهمة حتى الوقت الحاضر. (١)

أمير منطقة الرياض: الأمير سلمان بن عبدالعزيز:

ولد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز في مدينة الرياض في ٥/ ١٠/ ١٣٥٤هـ الموافق ٣١/ ١٢/ ١٩٣٥م. وتربى في قصر والده في الرياض، وتلقى تعليمه الشرعي على أيدي كبار العلماء والمشايخ، كما زادت حصيلته العلمية والثقافية بالاطلاع في شتى جوانب المعرفة. أما التعليم النظامي فقد تلقاه في مدارس الرياض على يد كبار المعلمين في ذلك الوقت. وقد أهلته تربيته الدينية والعلمية واطلاعه الخاص لأن يكون وجهاً ثقافياً مميزاً، واسع الاطلاع في شؤون السياسة والاتجاهات الدولية. وهو يقرأ كثيراً وله ذاكرة قوية جداً، ويعد حجة في تاريخ المملكة العربية السعودية، ومرجعاً لأسرة آل سعود في شؤونهم كافة.

ولصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض الذي أمضى زهرة شبابه في خدمة هذه المنطقة ودرتها الرياض منذ أكثر من أربعين عاماً له جهود دؤوبة في العمل المخلص لتنمية هذه المنطقة وتطويرها. ليس هذا فحسب بل إن نشاط سموه لم يقتصر على العمل الرسمي بل كان له باع طويل في العمل الإنساني، حيث كانت الرياض مركز نشاط خيري داخلي وخارجي يشرف عليها الأمير سلمان.

والواقع أنه خلال عمله الطويل في إمارة منطقة الرياض - الذي بدأ منذ تعيينه نائباً لأمير منطقة الرياض في ١٢/ ٧/ ١٣٧٣هـ فأميراً لها في ٥/ ٨/ ١٣٧٤هـ حتى الوقت الحاضر، عدا عامي ١٣٨٠ و١٣٨١هـ عندما عين الأمير فواز أميراً لمنطقة الرياض- بذل الأمير سلمان بن عبد العزيز جهوداً متواصلة في سبيل تطوير هذه المنطقة. ومع أن مدينة الرياض حظيت بجهد خاص من الأمير سلمان باعتبارها عاصمة البلاد ومنطلق وحدتها، إلا أنه لم ينس بقية مدن (محافظات ومراكز) منطقة الرياض، حيث كان يتابع تطورها ويقوم بزيارات تفقدية لها بين الحين والآخر حتى أصبحت مدناً عصرية تنعم بكل مظاهر التقدم والحضارة.

أما مدينة الرياض فقد كانت محل اهتمام حكومة هذه البلاد بدءاً بالملك عبد العزيز، ثم أبنائه من

---

(١) إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة.

بعده: الملك سعود، ثم الملك فيصل، ثم الملك خالد يرحمهم الله جميعاً. والآن يتواصل الاهتمام بمدينة الرياض في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يحفظه الله -. وبجانب ذلك كله كانت الرياض في عيني ابنها البار الأمير سلمان بن عبد العزيز يباهي بها أرقى عواصم العالم. ومع أن التطور من السمات الطبيعية لكل البلاد، إلا أن مدينة الرياض سبقت عصرها بسنوات، بل فاق تطورها كل تخيل، حتى أن من رآها قبل بضع سنوات ثم رآها ثانية لا يكاد يعرفها. إن الجيل الحاضر الذي شاهد التطور الذي تعيشه مدينة الرياض في الوقت الحاضر يدرك ما تعنيه هذه السطور، بل يعتقد أن هذه الكلمات لا تفي بحق من سهر الليالي لخدمة هذه المدينة وسكانها. إن ما تحقق لمدينة الرياض كان بفضل الله ثم بجهود مخلصة وصادقة وحثيثة من لدن حكومة خادم الحرمين الشريفين عامة، ومن ابنها البار سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز بخاصة.

لقد واكب اهتمام سموه بمدينة الرياض تطور هذه المدينة على مر السنين. فعندما تم انتقال وزارات الدولة إلى العاصمة الرياض في عهد الملك سعود يرحمه الله، كان الأمير سلمان يدرك ما تعنيه هذه النقلة الكبيرة لمكانة الرياض ولذلك هيأ السبل لتشييد المباني اللازمة لهذه الصروح الإدارية. وعندما تم انتقال السفارات إلى مدينة الرياض كان الأمير سلمان سباقاً للتفاعل مع هذه النقلة النوعية لمدينة الرياض منذ أن فكرت الدولة في هذا الانتقال، حيث خطط لها حيّاً نموذجياً جديداً يحمل نمط البناء المعماري الأصيل النابع من بيئة هذه البلاد حتى أصبح هذا الحي معلماً بارزاً من معالم مدينة الرياض. وعندما ضاقت جامعة الملك سعود بسبب كثرة الطلبة الملتحقين بها، والإقبال عليها جاءت فكرة إنشاء مدينة أكاديمية كبيرة في منطقة مهمة من مدينة الرياض، وكان الأمير سلمان هو الذي حمل هم هذا المشروع العملاق حتى رأى النور خلال بضع سنوات. ولم يقف اهتمام الأمير سلمان عند هذا الحد بل كان له دور رائد في إنشاء المدينة الجامعية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، منذ كان هذا المشروع فكرة، حيث كان يقوم بنفسه مع بعض المسؤولين بالبحث عن الأرض المناسبة حتى وقع الاختيار على الأرض التي أقيم عليها مشروع المدينة الجامعية الضخم الذي شيد في مدخل إلى مدينة الرياض للقادم عن طريق مطار الملك خالد الدولي. وفي مجال المشروعات الصحية كان الأمير سلمان حريصاً على إقامة المستشفيات، سواء منها التابعة لوزارة الصحة أم التابعة للجهات الحكومية الأخرى، أم متبناة من قبل القطاع الخاص، وقد انتشرت المشروعات الصحية من مستشفيات عامة ومتخصصة ومستوصفات

وغيرها في أنحاء مدينة الرياض.

كان الأمير سلمان ولا يزال يتابع جميع التطورات التي شهدتها مدينة الرياض خلال الأربعين سنة الماضية، ولهذا كان حريصاً على متابعة هذه التطورات عن قرب من خلال ترؤسه للمجالس العليا المهتمة بمنطقة الرياض. فبعد صدور نظام المناطق أصبح الأمير سلمان بن عبد العزيز، بحكم كونه أميراً لمنطقة الرياض رئيساً لمجلس منطقة الرياض الذي يقوم بالتخطيط ومتابعة جميع المشروعات المقترحة على قائمة التنفيذ. وفيما يتعلق بالمصالح الحكومية الخدمية في منطقة الرياض فإن الأمير سلمان يتولى مجالس إداراتها ولجانها العليا، فهو رئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، التي صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٧١٧ وتاريخ ٢٩/ ٥/ ١٣٩٤هـ بإنشائها، وفي ٢٠/ ١/ ١٣٩٥هـ حددت قواعد عمل الهيئة وأنيط بها رسم السياسة العليا لتطوير مدينة الرياض، وإقرار برامج الخدمات الحضارية ومتطلبات خطط التنمية لكافة الوزارات والمصالح والمؤسسات العامة والخاصة، وكيفية تنفيذ برامجها. والواقع أن الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض كانت ولا تزال وراء كل المشروعات الحيوية التي أقيمت وتقام في هذه المدينة الكبيرة. كما أنه يرأس مجلس إدارة مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة الرياض، ويرأس مجلس إدارة مكتبة الملك فهد الوطنية، وهو رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز، كما أنه الرئيس الأعلى للجنة المنظمة لمعرض المملكة بين الأمس واليوم الذي أقيم في عدد من الدول العربية والأوربية وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وهو الرئيس الشرفي والمؤسس لمركز الأمير سلمان لأبحاث الإعاقة، والرئيس الشرفي لمركز الأمير سلمان الاجتماعي.[١]

ولم تقتصر اهتمامات الأمير سلمان على الإشراف على الأعمال الحكومية التي تخص مدينة الرياض، بل إنه يتابع أعمال القطاع الخاص في مدينة الرياض ويشجعها، مثل اهتمامه بمتابعة أعمال الغرفة التجارية والصناعية بالرياض، وتشجيع المصانع الوطنية وتسهيل ما يعترضها من معوقات، وكذلك تذليل المصاعب التي تعترض الشركة الموحدة للكهرباء في المنطقة الوسطى، وغير ذلك من الاهتمامات التي يوليها الأمير سلمان لمنطقة الرياض التي قل أن يستطيع شخص آخر متابعتها.

ومع كل هذه الأعمال والمشاغل لم ينس الأمير سلمان بن عبد العزيز الجوانب الإنسانية، بل أولاها قدراً كبيراً من اهتمامه ومتابعته. ولم يقصر الأمير سلمان نفسه على الاهتمام والمتابعة للأعمال الإنسانية

(١) إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة.

في منطقة الرياض، أو في داخل المملكة فحسب، بل كان حريصاً على مدّ يد العون لكل المسلمين الذين هم بحاجة إلى دعم ومساعدة، اقتناعاً ومبادرة منه شخصياً، وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام، وتتويجاً لسياسية المملكة العربية السعودية منذ عهد مؤسسها الباني الملك عبد العزيز -يرحمه الله- حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز -يحفظه الله- ولا أعتقد أن أحداً، داخل المملكة أو من رعايا البلدان التي نالها عطف سموه، يجهل مثل هذه الأعمال الخيرية والجهود الموفقة لخدمة أناس صعبت عليهم الحياة أو تسلطت عليهم أياد الكفر والطغيان. ونحن نذكر نماذج منها هنا للتذكير ببعضها دون حصرها. فالأمير سلمان هو رئيس جمعية البر بالرياض التي امتدت يدها لتمسح دمعة الفقير والمحروم، وما زال يوليها اهتمامه، ودعمه المادي والمعنوي، ويتابع استثمار مشروعاتها حتى أصبحت جمعية تكاد تعتمد على نفسها مادياً. وهناك جمعية الأطفال المعاقين التي ولدت وترعرعت بدعم وتشجيع من سموه، وكذلك مركز الأمير سلمان الاجتماعي وغيرها من المشروعات الإنسانية التي تخدم مدينة الرياض خاصة وبلاد منطقة الرياض عامة.

أما المشروعات والمساعدات الإنسانية التي تبناها أو أشرف عليها الأمير سلمان بن عبد العزيز لتقديم العون لمن هم بحاجة إليها في خارج المملكة فأكثر من أن تحصى. ومنذ عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م كان العمل الإنساني يحظى باهتمام سمو الأمير سلمان منذ أكثر من أربعين عاماً، حيث ترأس عدداً من اللجان والهيئات الرسمية والمحلية لجمع التبرعات لمساعدة المحتاجين والمتضررين من السيول والزلازل والكوارث في العالم العربي والإسلامي. ففي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م رأس لجنة التبرع لمنكوبي السويس، كما ترأس اللجنة الرئيسية لجمع التبرعات للجزائر. وفي عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ترأس سموه اللجنة الشعبية لمساعدة شهداء ومجاهدي فلسطين، وترأس اللجنة الشعبية لمساعدة أسر شهداء الأردن. وفي عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م رأس اللجنة الشعبية لإغاثة منكوبي الباكستان في أعقاب الحرب بين الهند وباكستان، وفي هذا العام ترأس اللجنة الشعبية لدعم المجهود الحربي في مصر وسوريا في أعقاب اندلاع حرب رمضان عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م بين العرب وإسرائيل.

وفي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ونتيجة للغزو الروسي الغاشم على دولة أفغانستان، وما نتج عنه من المحنة التي لحقت بشعب أفغانستان المسلم مما أدى إلى سقوط آلاف القتلى والجرحى، وتشريد آلاف السكان من قراهم، وما خلفته هذه الحرب الجائرة من آلاف اليتامى والأرامل، فقد ترأس سمو الأمير

سلمان الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان. وقد بادر سموه منذ الوهلة الأولى لمسح دمعة اليتامى وتضميد جراح الثكلى، وعلاج الجرحى من خلال المساعدات النقدية والعينية، وكان يتابع أحوالهم من خلال مكتب رعاية المجاهدين الأفغان، كما سهل مهمة مكتب الهيئة بالرياض. وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ترأس سموه اللجنة المحلية لجمع التبرعات لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. ونتيجة لغزو العراق للكويت عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م وما سببه ذلك الغزو من نزوح أعداد كبيرة من أفراد الشعب الكويتي وغيرهم إلى المملكة تكونت لجنة برئاسة الأمير سلمان بن عبد العزيز لتقديم العون والمساعدة للكويتيين الذين قدموا إلى المملكة. وفي عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م رأس سموه اللجنة المحلية لتلقي التبرعات للمتضررين من الفيضانات في بنجلادش. وفي عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ترأس سموه الهيئة العليا لجمع التبرعات لمتضرري الزلزال الذي وقع في مصر في ذلك العام. كما كان له جهود في مساعدة المتضررين من الجفاف في الصومال، وقد ترأس سموه لجنة التبرعات للصومال.

ومن الأعمال الإنسانية الكبيرة الملموسة التي أشرف عليها الأمير سلمان في السنوات الأخيرة جهوده الخاصة لمساعدة شعب جمهورية البوسنة والهرسك الذي عانى من المحنة التي تعرض لها على يد القوات الصربية منذ عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. وقد تشكلت في هذا العام عدة لجان في مختلف مدن المملكة تشرف عليها جميعاً اللجنة العليا لمساعدة شعب البوسنة والهرسك التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز. ولم يكتف سموه بعمل اللجنة العليا في الرياض بل أمر بإنشاء لجنة فرعية في الميدان هناك في البوسنة حتى قبل أن تتوقف المعارك، وذلك حرصاً على تتبع حاجات الناس عن قرب، وتوزيع المساعدات على المسلمين البوسنيين الذين تضرروا وتهدمت منازلهم من جرّاء العدوان الصربي الغاشم عليهم. وبعد إحلال السلام في البوسنة بادر سموه بدعم إعمار البلاد من بناء المساجد والمدارس والمنشآت الحضارية والمدنية، والطرقات والبيوت ومساعدة السكان، مما كان محل تقدير السكان عامة وحكومة البوسنة بشكل خاص مما دعاها إلى منح سموه أعلى وسام في البلاد. وما زالت هذه اللجنة تقوم بعملها على خير ما يرام بفضل جهود الرجال المخلصين. ولا شك أن عمله هذا في مجال المساعدات الإنسانية يعتبر دعماً لقضايا العالم الإسلامي ومناصرة المسلمين في كل مكان.

وفي خضم هذه الأعمال الإنسانية الجليلة لا يمكن أن ننسى إشراف سمو الأمير سلمان المباشر ودعمه ورعايته لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية المنبثقة عن رابطة العالم الإسلامي، وفروعها المتعددة في

بعض مدن المملكة ومنها مدينة الرياض.

وبعد فهذه لمحة موجزة عن أعمال سمو الأمير سلمان أمير منطقة الرياض الرسمية والوطنية والإنسانية الداخلية والخارجية سجلناها هنا لتكون مدخلاً لما سيأتي من مباحث مفصلة في الفصول القادمة عما تم في منطقة الرياض من مشروعات حيوية تخدم سكان منطقة الرياض في الحاضر والمستقبل.

فئات السكان وحياتهم الاجتماعية:

والواقع أن تطور الأساليب الحضارية في أي مجتمع ينبع من طبيعة ذلك المجتمع، ومن هنا فإن التركيبة السكانية والاقتصادية في منطقة الرياض هي جزء لا يتجزأ من طبيعة المجتمع في بلاد نجد التي تشمل امتداداً جغرافياً يمتد من الربع الخالي جنوباً إلى حدود العراق وبلاد الشام شمالاً، ومن الأحساء شرقاً إلى الحجاز وعسير غرباً.[١] وفي بلدان تحفها الصحراء من جوانبها المختلفة مثل بلاد منطقة الرياض، نجد التركيبة الاجتماعية للسكان يحكمها التكوين الاقتصادي لبلاد نجد في تلك الفترة، الذي يقاس عادة بحجم الأراضي التي تخص تلك المجتمعات السكانية سواء الحاضرة أم البادية. ولا شك أن الحياة الاقتصادية للسكان تتأثر بمدى ما يملكه أهل الحاضرة من أراض زراعية، وما يستوطنه البدو من أراض برية حيث يربون ما بحوزتهم من الماشية التي تربى في المنازل والمزارع مثل الأبقار والخيول، أو التي تربى في البراري مثل الأغنام والإبل.[٢]

وتبعاً للوضع الاقتصادي لبلاد نجد انقسم السكان في منطقة الرياض إلى عدة أقسام: فهناك فئة البدو الرحل، الذين يمتهنون حرفة الرعي أغلب العام، وهناك فئة شبه الرعاة، وهم الذين يمتهنون الرعي ثم يتحولون إلى جني المحاصيل عند نضجها، وهناك فئة الحضر الذين يعيشون في القرى وأكثرهم يمتهنون حرفة الزراعة، والفئة الرابعة هم فئة الحضر الذين يعيشون في المدن وأغلبهم يمتهنون التجارة والحرف اليدوية. أما عدد السكان في منطقة الرياض في بداية عهد الملك عبدالعزيز فلم يكن من السهل تحديده بدقة نظراً لغياب المعلومات الإحصائية الرسمية أو شبه الرسمية. وليس من السهل كذلك تحديده

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٣.

(2) Bertram, Thomas, (1932), Arabia Felix, Across the Empty Quarter, of Arabia, Charles Scribneis Sons, New York, p. 267.

بالتقريب بسبب صعوبة تحديد العوامل التي يمكن أن تتخذ كوسائل لمعرفة عدد السكان. وأمام هذا الواقع كان الاعتماد على وسائل أخرى لمعرفة عدد السكان بالتقريب وهو ما توفر لدينا. وأقرب هذه الوسائل إلى التناول، أو لعلها الوحيدة في تلك الفترة المبكرة من عمر الدولة السعودية المعاصرة، هي البحث في مصادر الرحالة، أومصادر الدول الأجنبية، مع الاعتراف سلفاً بأنها قد لا تكون دقيقة بالقدر الذي يستطيع الباحث أن يبني عليها حقائق تاريخية أو اقتصادية أو غيرها، لكنها تساعد على وصف حالة السكان كدراسة تاريخية. وقد قدرت المصادر البريطانية عدد السكان في بلاد نجد في عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م، بحوالي مليون نسمة، وأنّ ثلاثين بالمائة منهم كانوا يسكنون منطقة القصيم، إلا أن تلك المصادر لم تحدد سكان منطقة الرياض.[١] كما أفادت تلك المصادر أن نسبة البدو في بلاد نجد عالية، وهذا لا يبعد عن الحقيقة، حيث من الواضح أن البدو يشكلون نسبة أكثر من الحضر في المجتمع النجدي في تلك الفترة المبكرة من عهد الدولة السعودية المعاصرة، وقد تصل نسبتهم إلى الثلثين، لكن هذه الأعداد وكذلك النسب غير ثابتة. وفي دراسة للأوضاع الاجتماعية في نجد، ذكر ضابط عثماني رافق الجيش العثماني خلال تواجده في بلاد نجد في الفترة بين عامي ١٣٢٠-١٣٢٢هـ/ ١٩٠٥-١٩٠٦م، قدر عدد السكان في بعض بلاد منطقة الرياض من بدو وحضر، كما يلي: في بلاد الوشم خمسة وعشرين ألفاً، وفي بلاد سدير عشرين ألفاً، وفي العارض خمسين ألفاً، وفي الخرج سبعة آلاف، وفي الفرع تسعة آلاف، وفي الأفلاج ووادي الدواسر قدر عددهم باثنين وثلاثين ألف نسمة.[٢] وفي مقال نشرته جريدة أم القرى عن موضوع الهجر ذكرت أن ثلث القبائل النجدية تركت الحياة البدوية وانتقلت إلى الحياة الحضرية بفضل الله ثم بفضل المشروع الكبير الذي قام به الملك عبدالعزيز لتوطين البادية في الثلاثينات من القرن الرابع عشر الهجري، كما سيأتي تفصيله.[٣] ومهما كان عدد السكان، ومهما

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤ عن:

India Office, No. T 21489. India Government General Staff, Military Report on Arabia, p. 70.

(٢) صابان، سهيل، (١٤١٧هـ)، دراسة لكتاب عثماني (تركي) عن الأوضاع الاجتماعية في نجد، **مجلة مكتبة الملك فهد**، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) هيئة التحرير، الهجر في جزيرة العرب، مئتا مدينة ودسكرة حديثة: طريقة جلالة الملك في تحضير القبائل وتخطيط الهجر، **أم القرى**، (السنة الخامسة، العدد ٢١٨، الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/ ١ مارس ١٩٢٩م) مكة المكرمة. وانظر عن السكان في المملكة في ذلك الوقت وكذلك توطين البادية: الشامخ، أحمد عبدالرحمن، (١٤٠١هـ)، =

بلغت نسبة البدو بينهم، إلا أنه من المؤكد أن هذه النسبة تختلف من منطقة إلى أخرى مما يوحي بأن منطقة الرياض، قد تكون أكثر سكاناً، ونسبة الحضر بينهم أكثر من نسبة البدو نظراً لكبر مساحة المنطقة من جهة، ولتعدد المدن والقرى فيها من جهة أخرى. (١)

التوطين وتنمية المجتمع:

فيما يتعلق بتنمية المجتمع كان الملك عبدالعزيز حريصاً، في كل حركاته وسكناته، على بناء الجبهة الداخلية بناء متماسكاً، وتأصيل مبدأ التعاون والتكامل بين بلاده المترامية الأطراف. ولم يفت على الملك عبدالعزيز أن ذلك التكامل يعتمد بالدرجة الأولى على ترابط المجتمع بكل فئاته، والعمل على نشر الوعي والمعرفة بين أفراده، ومن هنا جاءت أهداف بناء الهجر لأبناء البادية وربطهم بالأرض والولاء لله ثم للوطن، بدلاً من حياة التنقل والترحال. والواقع أن فكرة مشروع الملك عبدالعزيز لتوطين البادية الذي أطلق عليه اسم الهجر، نسبة إلى تلك المجمعات السكنية التي أنشئت خصيصاً لسكان البادية لكي يجتمعوا فيها، تعود إلى الوقت الذي بدأ فيه توحيد البلاد السعودية، خاصة أن نسبة كبيرة من المجتمع في بداية عهد الدولة السعودية الحديثة هم من البادية، وأن نسبة كبيرة من جيشه في ذلك الوقت هم من رجال البادية الذين أطلق عليهم فيما بعد الإخوان (٢) (أخو من طاع الله).

= **توطين البدو في المملكة العربية السعودية** "الهجر"، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ص ص ١٠-١٤. وعن فئات السكان في تلك الفترة وأحوالهم انظر: أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ١٤ عن:

Guarmani, Carlo, (1904), **Northern Najd**, Translated from the Italian by Lady Capel Curo, London, p.xxxiii.

(١) لمزيد من التفصيل عن سكان منطقة الرياض، يرجى الرجوع إلى الفصل الأول من الجزء الخامس من هذا الكتاب.

(٢) عبارة الإخوان بمعناها العام جاءت من الأخوة في الله التي ربطت بين أفراد الجماعة الإسلامية الأولى التي قامت على يد الرسول صلى الله عليه وسلم متمثلة قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ حيث أقامت مجتمعاً أخوياً إسلامياً. وفي العصر الحديث عرف هذا اللفظ في بلاد نجد منذ عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان يطلق على طلاب العلم والمرتبطين به، وكذلك المتحمسين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان هذا اللقب منتشراً بين الحاضرة ثم صار يرتبط لفظه ويدل على أهل البادية الذين استوطنوا الهجر التي أقامها الملك عبدالعزيز، خاصة بعد=

والواقع أن هناك عدداً من العوامل التي ساعدت على نجاح مشروع الملك عبدالعزيز لتوطين البادية ونقله من حيز الفكرة إلى واقع ملموس تمثل في الهجر التي انتشرت في أماكن متعددة في منطقة نجد، ومنها عدد كبير في منطقة الرياض. ومن تلك العوامل حرص البدو واندفاعهم إلى تحقيق ما يعتقدون أنه نافع، وكذلك الحماسة الدينية الذي تميز به سكان تلك الهجر. وإضافة إلى ذلك، كان وجود العلماء والمرشدين بين ظهراني سكان تلك الهجر تشجيعاً معنوياً لهم وحافزاً لغيرهم لكي ينضمّوا إليهم. ومن العوامل التي ساعدت على نجاح المشروع الأعطيات التي كان يبذلها الملك عبدالعزيز لأفراد تلك القبائل، من الأموال والحبوب والبن والشاي وغيرها، وكذلك التسهيلات اللازمة للزراعة من البذور والأغراس. ثم إن توزيع الأراضي المجاورة للهجر مجاناً على البدو القادمين حديثاً إلى الهجر جعلهم يعيشون مطمئنين. ولا شك أن هذه العوامل كانت مشجعة على الاستقرار والاستغناء عن حياة التنقل، وممارسة مهنة الزراعة في تلك الهجر. وقد لاقت هذه التسهيلات هوى في نفوس هذه الفئة من السكان ففضلوها على حياة الترحال طلباً للعشب. وكانت الخطوة التالية للملك عبدالعزيز هي إقناع رؤساء القبائل بالقدوم إلى الرياض وأخذ العلم الشرعي في مساجدها على يد العلماء، ثم يرجع هؤلاء إلى قومهم أكثر حماسةً للاستقرار. وقد رافق كل تلك العوامل رغبة شديدة من الملك عبدالعزيز شخصياً في إنجاح مشروع التوطين بكل الوسائل حتى إنه كان يشرف على تنفيذ خطوات هذا المشروع بنفسه. وكان

= أن اهتم الملك عبدالعزيز بتعليمهم علوم الدين، وبعد أن أصبحت الهجر تضم أفراداً من قبائل شتى يجمع بينهم الحرص على تعلم الدين وتعليمه فتحمسوا لذلك وأسموا أنفسهم الإخوان إشارة إلى رباط الأخوة الدينية الذي يجمعهم. انظر مزيداً من التفاصيل عن موضوع الإخوان ونشاطاتهم في: الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص ٢٥٨-٢٦٦؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ، ج١، ص ص ٢٥٩-٢٦١؛ وهبه، حافظ، (١٣٨٧هـ)، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ص ٢٨٩-٣٠٨؛ آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦١؛ العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٢١١-٢١٢، ٢٨٣-٢٨٤؛ وانظر كذلك؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ١٤٢، ١٥٥-١٦٤؛ وليمز، كنث، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م)، مصدر سابق، ص ص ١٧٣-٢٠٤. وانظر كذلك:

Philby, J., (October 1926), The Triumph of the Wahhabis, Journal of Central Asian Society, vol. xiii, part iv, pp. 260-262, 299-301.

يعتقد أن مستقبل الجزيرة العربية يتوقف على نجاح المشروع، لأن البلاد ستستفيد من الأعداد الكبيرة الهائلة من أولئك الرحل في النهضة التي بدأت تتضح معالمها شيئاً فشيئاً.[١] ومما يؤكد ما كان يخطط له الملك عبدالعزيز في مجال التنمية البشرية ونقل المجتمع السعودي بجميع فئاته إلى مرحلة العلم والتطور الحضاري بما يتمشى مع العقيدة الإسلامية أنه كان يرى التدرج في تنفيذ سياساته الداخلية ولم يكن يتعجل الأمور. يقول أمين الريحاني بعد أن تحدث عن مزايا الهجر "قلت مرة لعظمة السلطان: وستكون الهجرة الثانية من الجهل إلى العلم إن شاء الله، فتؤسس المدارس ويتعلم الإخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها أن تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد، فأجاب عظمته: كل شيء يجيء في وقته".[٢] وبالفعل فإنه مع الوقت اندمج جميع فئات السكان في حياة مستقرة وأصبح الكثير منهم أصحاب مهن، وموظفين في الدولة، وعمالاً في الشركات مثل شركة أرامكو للتنقيب عن البترول التي استقطبت مئات العمال من أبناء تلك الفئة. ومع هذا الإقبال منهم على الأعمال المدنية إلا أنهم كانوا يعزفون عن بعض الحرف اليدوية مثل الحدادة والنجارة والقصابة والحلاقة والخياطة وغيرها.[٣] والواقع أنه ليس البدو وحدهم الذين يعزفون عن مثل هذه الحرف بل إن كثيراً من الحضر لا يمتهنونها. وعلى كل فإن البدو والحضر لديهم حرفهم الخاصة بهم التي أهمها الزراعة والتجارة لدى الحضر، والرعي لدى البادية.

وتذكر أغلب المصادر التاريخية أن أول هجرة أقيمت في هذا المشروع، وفي منطقة الرياض هي هجرة الأرطاوية عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١٢م.[٤] وما هي إلا بضع سنوات حتى انتشرت الهجر في أنحاء البلاد حتى وصل عددها في عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م إلى مائة واثنتين وعشرين هجرة.[٥] بل إن

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه العوامل راجع: أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٤٣-١٤٥.

(٢) الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ٢٦٣.

(٣) الشامخ، أحمد عبدالرحمن، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) هجرة الأرطاوية تابعة لقبيلة مطير، وهي تقع إلى الشمال من المجمعة وإلى الشمال الشرقي من الزلفي على بعد ما يقرب من ستين كيلو متراً منهما. وقد سميت بهذا الاسم لأن الأرطا، الشجر المعروف الذي ترعى الإبل أهدابه ويستفاد منه حطباً، ويكثر في جوارها. انظر: آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د.ت.)، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٢١؛ وهبه، حافظ، (١٣٨٧هـ)، مصدر سابق، ص ٢٨٩.

(٥) هيئة التحرير، الجمعية العمومية في نجد، **أم القرى**، (السنة الخامسة، العدد ٢٠٨، ٦ رجب ١٣٤٧هـ،) مكة المكرمة. ولمعرفة تاريخ إنشاء الهجر، وقائمة بأسمائها، وأمرائها، وقبائلها، وما تستطيع كل هجرة أن تشارك به في=

بعض المصادر والمراجع تذكر أن عدد الهجر خلال الفترة بين ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م حتى عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م بلغ مئتي هجرة، أصغرها يتجاوز عدد سكانها ألفي نسمه.[١] ويمكن الجمع بين اختلاف الرقمين بنظرة أصحاب تلك المصادر إلى المعايير التي بنوا عليها تقدير العدد، فبعضهم يقصر العدد على الهجر الكبيرة ذات العدد الكبير من السكان، بينما يدخل بعضهم في هذا العدد أي هجرة حتى ولو كانت مزرعة، أو هجرة لم تسكن، أو قليلة العدد، وربما اعتمدت بعض هذه المصادر في تحديد العدد على ما اشتهر من تلك الهجر، أو كان لها دور في إمداد الدولة بالرجال وقت الحرب، أو غيرها من العوامل. وعلى كل حال فإن هذه الهجر سرعان ما أصبحت حواضر لأهل البادية الذين لم يستقروا بعد يجدون فيها كل ما كان ينقصهم من كسب العيش. وإدراكاً من الملك عبدالعزيز لأهمية العلم في حياة الشعوب وسبيلاً لتقدمها حرص على إقامة حلقات العلم في تلك الهجر وندب العلماء إليها في أوقات معينة في السنة لتعليم أبناء البادية الذين استقروا في تلك الهجر أحكام الدين ومبادئ القراءة والكتابة التي كانت تحظى بإقبال من أهل الحاضرة في تلك الفترة. وقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز بالعلم والثقافة من الأمور التي كانت تلازمه حتى في فترة كفاحه لتوحيد البلاد، وقد ظهر ذلك من خلال حرصه على نشر الكتب الدينية ودعم العلماء والمدارس وتخصيصه فترات من يومه للاستماع إلى أشخاص يقرؤون عليه في كثير من الكتب الشرعية والتاريخية وغيرها ويحضر أحياناً حلقات الذكر والعلم. وقد كان لمنطقة الرياض نصيب وافر من تلك الهجر حيث إن أول هجرتين بنيتا في هذه المنطقة هما هجرة الأرطاوية قرب الزلفي، وهجرة الغطغط؛ حيث تعتبران أهم الهجر لقدمهما وكثرة سكانهما.

= جيش الدولة راجع: الزامل، عبد الله العلي، (١٣٩٢هـ)، **أصدق البنود في تاريخ آل سعود**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت، ص ص ١٢٠- ١٢٨؛ الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، مصدر سابق، ص ص ٤٥٤-٤٥٦؛ الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٦٥-٢٦٨؛ وهبه، حافظ، مصدر سابق، ص ٢٨٩؛ أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٤٦-١٤٧، ٢٦٧-٢٧٢. وانظر كذلك: درويش، مديحة، (١٤٠٠هـ)، **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**، ص ١٥٦-١٦٠؛ البديوي، محمد منير، (١٣٩٧م)، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(١) هيئة التحرير، الهجر في جزيرة العرب، مئتا مدينة ودسكرة حديثة؛ طريقة جلالة الملك في تحضير القبائل وتخطيط الهجر، **أم القرى**، (السنة الخامسة، العدد ٢١٨، الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/ ١ مارس ١٩٢٩م) مكة المكرمة؛ الشامخ، أحمد عبدالرحمن، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ١٣.

استتباب الأمن:

الأمن من المطالب الضرورية لكل المجتمعات الإنسانية؛ ليستقيم نظامها السياسي والاجتماعي، وتستطيع بالتالي مواكبة تطور الحياة بكل أبعادها. وإذا كان هذا عاماً في كل المجتمعات، فإنه يضاف إليه في البلاد السعودية الضرورة الدينية، المتمثلة بنشر الشريعة، والعمل بحدودها، وحماية الضرورات الخمس (الدين والعقل والنفس والعرض والمال).

والواقع أن مجتمع شبه الجزيرة العربية كانت تغلب عليه قسوة الصحراء، وشظف العيش؛ ولذلك كان الأمن في هذه البلاد، قبل حكم الملك عبدالعزيز، مضطرباً، وكانت وسيلة أهله للعيش تقوم على السلب والنهب، والإغارة على القبائل الأخرى؛ وقد انعكس ذلك على حالة الأمن التي بلغت درجات عالية من الانفلات. كان المسافرون لا يستطيعون أن ينتقلوا من مكان إلى آخر دون أن يحتموا بصاحب نفوذ، أو يدفعوا «الخوة» إلى رئيس كل قبيلة يمرون في ديارها.

وعندما أراد الله الخير لهذه البلاد، استعاد الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، مبتدئاً مهمة جليلة، هي إعادة توحيد البلاد على أسس من العدل، والأمن؛ كما كانت في عهد آبائه وأجداده. ورغم انشغاله بعملية توحيد البلاد، إلا أنه جعل جل همه منصباً على إيجاد السبل التي تقضي على حالة عدم الأمن، وإلى رفع المعاناة التي يتعرض لها المسافرون وإلى دفع القلاقل والقضاء على الاضطراب الناتج عن انعدام الأمن. ومن يعرف واقع البلاد قبل العهد السعودي يدرك أن تحقيق الأمن يعتبر ضرباً من الخيال، لكن الملك عبدالعزيز جعل الخيال حقيقة. وللحق نقول إنه لم ينجح في مسعاه بالسهولة التي يعتقدها البعيدون عن واقع المجتمع، بل كان الحزم، وإقامة حدود الشريعة بكل أوامرها، ونواهيها هو العامل الحاسم في نجاح الملك عبد العزيز[١] لقد وفق الله الملك عبد العزيز؛ لأنه لم يتهاون أو يتوانى في تطبيق الأحكام الشرعية بحق المجرمين، وقطاع الطريق، الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فساداً. لقد أعلنها الملك عبدالعزيز صريحة أن «دستور دولته هو كتاب الله وسنة نبيه، ولن يحيد عنهما قيد أنملة، وسوف يضرب بيد من حديد، وبلا رحمة، ولا شفقة على كل من تسول له نفسه العبث بالأمن، أو محاولة تعكير صفوة»[٢].

---

(١) قزاز، حسن عبد الحي، (١٤١١هـ)، **الأمن الذي نعيشه**، ج١، الطبعة الثانية، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ص٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) جمعة، رابح لطفي، (١٤٠٢هـ)، **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز الرياض، ص٥٣.

لقد نجحت خطة الملك عبدالعزيز في تحقيق الأمن، وإقامة العدل بين الناس؛ لأنه يطبق حكماً ربانياً. وإذا كان العدل أساس الملك، فإن الأمن أول مظهر من مظاهر العدل. يقول أمين الريحاني: «إن الأمن في نجد لا يحتاج إلى إثبات... إن له أكبر دليل، وأقطع حجة في أهل البلاد أنفسهم، المسافرين من قطر إلى قطر، وفي القوافل التي تسير أربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف إلى طرف، من القطيف مثلاً إلى أبها، أو من وادي الدواسر إلى وادي السرحان، دون أن يتعرض لها أحد من البدو أو الحضر، دون أن تسأل من أين وإلى أين»(١). ويقول أمين محمد سعيد: «وقد تم للملك عبد العزيز -بفضل الله، ثم بسياسة الحزم، والعزم، والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده الواسعة- إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقياً وحضارة، فاطمأن الناس على أرواحهم، وأموالهم، في غدوهم، ورواحهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية؛ والفضل في ذلك يعود إلى يقظته وأخذه بالشدة المجرمين، وقاطعي الطريق، والعابثين بالأمن فلا يرحمهم، ولا يشفق عليهم، ولا تنفع عنده فيهم شفاعة»(٢).

لقد وصف عدد من معاصري الملك عبد العزيز حالة الأمن قبل عهده مقارنة بما أصبحت عليه في ظل حكمه. يقول الكاتب الألماني ليوبولدايس عن حالة الأمن التي استتبت في عهده: بدأ ابن سعود عمله في التشديد على توطيد الأمن العام في بلاده، ومن قبله كانت شبه جزيرة العرب كلها شبكة من اللصوص، وكانت قبائل البدو يشن بعضها الغارة على بعض، وتنهب القوافل؛ وكانت الطرق غير آمنة. فلما جاء ابن سعود منع البدو أن يتقاتلوا فيما بينهم، وأمر بأن تحل الخلافات بين القبائل بقضائه، أو قضاء أمرائه فيها، وجعل المجرمين يشعرون بأن نصوص الشريعة شديدة على مثل هؤلاء؛ غير أنه لم يلبث أن أيقن أن الإكراه وحده لا يكفي، فشرع يبث في نفوس شعبه أخلاق الإسلام وفضائله، وبعث بالمعلمين، والوعاظ إلى مختلف القبائل ليعلموا البدو القراءة والكتابة، ويحثونهم على التمسك بالدين، وآدابه في عزم وإخلاص، وكانت ثمرة ذلك صغيرة في السنوات الأولى، ولكنها تمت تدريجياً، وأينعت وآتت أكلها»(٣). ويصف ديجوري حالة الأمن في المملكة بقوله: «إنها ليست مبالغة

---

(١) الريحاني، أمين، (د.ت)، مصدر سابق، ص٥٥٨.

(٢) سعيد، أمين محمد، (١٣٥٢هـ)، **ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ص١٢٣.

(٣) الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢٠٨، ٢٠٩.

أن تقول إن الأمن في المملكة العربية السعودية ربما يكون الأفضل في العالم قاطبة، وبكل تأكيد فإنه بدون مقارنة أفضل من الأمن الموجود في عدد من الدول الغربية في فترة السلم. ويروى أن القافلة ربما يسقط منها كيس من القهوة في وسط الصحراء، وأن صاحبها عندما يعود بعد بضعة أشهر سيجدها دون أن يمسها أحد من البدو العابرين»[١].

هذه أمثلة لما كان عليه واقع الأمن في البلاد قبل حكم الملك عبدالعزيز، وما أصبحت عليه في خلال فترة حكمه بفضل الله، ثم بجهوده المتواصلة لحفظ الأمن في جميع أنحاء البلاد حتى أصبح مثار إعجاب القاصي والداني. لقد تغير الحال في عهده فتبدل الخوف بالأمن، وأخذ قطاع الطريق بالشدة والحزم، ومن أساليبه في تحقيق الأمن أنه اعتبر القبائل المقيمة على الطرق مسؤولة عن الجرائم التي تقع في أراضيها، وأنزل بالسارقين عقوبة قطع اليد، فلم يمض غير قليل حتى ساد الأمن واستقرت الطمأنينة في تلك الربوع[٢].

هذا هو أساس سياسة الملك عبدالعزيز في جميع أجزاء بلاده، ومنها منطقة الرياض، لقد كانت هذه المنطقة تضم بلاداً متعددة يقطنها الحضر من السكان، كما تضم قبائل مستوطنة، وقبائل رحل، كما أن هناك فئات من أهل البادية استوطنوا الهجر التي أقامها الملك عبدالعزيز في أنحاء متفرقة من البلاد بلغت أكثر من مئة وعشرين هجرة. وإذا كان الأمن في المدن والقرى الكبيرة يسهل تحقيقه بالحزم والشدة؛ وإن الوصول إلى مزعزعي الأمن سهل بحكم تواجدهم في البلاد، فإن تعقب أهل البادية في صحاريهم أكثر تعقيداً. وبفضل سياسته النيرة، وأفكاره الطموحة أدرك أن بعث الدعاة، والمرشدين، والمعلمين إلى سكان الهجر يحقق أكثر من هدف:

الأول: تحقيق طموحات سكان الهجر في التعليم، والثقافة، والفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وتطبيق واجباتهم الدينية على الوجه الصحيح[٣].

الثاني: تمكين الدولة من تحقيق سياساتها في حث هؤلاء السكان على الاستقرار، والتخلي عن عادة

---

(1) De Gaury Gerald A, (1943), Saudi Arabian Note Book, Cairo, P. 18.

(٢) الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص٢١١؛ وانظر مجموعة من الإجراءات التي قام بها الملك عبدالعزيز للقضاء على الجريمة وإحلال الأمن في ربوع المملكة بصفة عامة، وأمن الحج والحجاج بصفة خاصة: الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ). مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٠.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ج٢، ج٢، ص٣٣١.

التنقل، وتربية المواشي؛ وهي وسائل يتم من خلالها تحقيق الأمن؛ ذلك الهدف الاستراتيجي للملك عبدالعزيز. وقد قامت الدولة من جانبها بعدد من الإجراءات التي تحقق هذين الهدفين، منها: تحضير البدو، وتوفير آلات الزراعة لهم، وحفر الآبار الارتوازية، وتزويدهم بالطعام الضروري عند الحاجة، وتسجيل القبائل وفروعها في سجلات خاصة، وربط أفراد كل قبيلة بشيخها واعتباره مسؤولاً عن سلامة قبيلته وتصرفات أفرادها[١]. وقد نجحت هذه الفكرة إلى درجات عالية، وتحقق ما يتمناه الملك عبدالعزيز في قيام مجتمع مترابط، متمسك بالعقيدة الإسلامية. وحيث إن عدداً كبيراً من الهجر تقع في منطقة الرياض، فقد تحقق الأمن في ربوع هذه المنطقة منذ وقت مبكر من عمر الدولة السعودية المعاصرة.

أما التشكيلات الإدارية المتعلقة بالأمن في منطقة الرياض فلم تكن موجودة في الفترة الأولى من تاريخ الدولة السعودية المعاصرة. ورغم تأسيس مديرية الشرطة العامة في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ أواخر عام ١٩٢٥م، التي سميت فيما بعد مديرية الأمن العام، إلا أن عملها كان مقصوراً على الأمور الأمنية في مكة المكرمة، وخاصة في موسم الحج[٢]. وفي ٣ صفر عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، صدر أمر الملك عبدالعزيز إلى نائبه في الحجاز، الأمير فيصل، بتوحيد جميع إدارات الشرطة في المملكة ووضعها تحت رئاسة واحدة يكون مقرها مكة المكرمة[٣]. وفي ٢٩ ربيع الأول عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، صدر نظام الأمن العام؛ الذي تضمن تحديداً واضحاً لتنظيم الإدارات التابعة لها، وأقسامها، وواجباتها، وتشكيلات الأمن العام في بعض المدن، ومنها الرياض، ترتبط كلها بمديرية الأمن العام من الناحية النظامية[٤].

أما وزارة الداخلية فقد أنشئت عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠، لكنها دمجت، بعد ثلاث سنوات من إنشائها، في ديوان مجلس الوكلاء، ولم تعد هيئة مستقلة إلا في عام ١٣٧٠هـ[٥] وقد أصبحت منذ ذلك الوقت

---

(١) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٤-٤٥٥، الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ص ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، (١٣٩٧هـ)، **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، مطابع الإشعاع، الرياض، ص١٤٠.

(٤) الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ) مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٥؛ الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، (١٣٩٧هـ)، مرجع سابق، ص١٤١.

(٥) للمزيد من المعلومات عن التنظيمات الأمنية راجع: العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي (١٤١٧هـ)، مرجع سابق ص ٤٣٠.

الجهة المسؤولة عن جميع ما يتعلق بالأمن الداخلي؛ ومنها: الأمن العام، وسلاح الحدود، وخفر السواحل، ومصلحة المطافئ، وغيرها من الأجهزة التي تهتم بالشؤون الداخلية.

وهكذا يتضح أن الأمن، بكل أبعاده، كان محل اهتمام الملك عبدالعزيز منذ وقت مبكر من عمر الدولة السعودية المعاصرة، وقد تطور مفهوم الأمن، وازدادت مسؤولياته مع التطور الذي شهدته المملكة في مختلف المجالات حتى الوقت الحاضر.

النظام المعماري:

ومن المجالات التي تشهد على التطور الحضاري في بداية عهد الملك عبدالعزيز مجال البناء والعمران. والواقع أن أساليب البناء في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة وما قبله كانت مأخوذة من البيئة المحلية، كما أن مؤونة البناء تعتمد كلياً على المواد الموجودة في التربة، وأهمها الطين، ولم يكن أهل البلاد يعتمدون على المواد المصنوعة خارج بلادهم. وتكاد أنماط البناء في بلاد منطقة الرياض، وفي عموم بلاد نجد تتشابه بحيث يصعب تمييز أنماط البناء في بلد عن الآخر في منطقة الرياض أو في بقية مناطق نجد. ففي بلاد منطقة الرياض خلال بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة وحتى الستينات والسبعينات من القرن الرابع عشر الهجري، كان البناء تقليدياً وتغلب عليه البساطة. وكانت طريقة البناء لا تسير على نظام موحد، فالبيوت متلاصقة ومتجاورة، لكن طريقة بنائها واتجاهاتها تتم حسب ظروف العوامل المناخية واتجاهات الرياح والشمس. وتكثر في المدن الشوارع الضيقة والأزقة المتعرجة بحيث لا يتسع أغلبها إلا للسير على الأقدام، أو الدواب، كما أن كثيراً من تلك الشوارع في بلاد منطقة الرياض مسقوفة بحيث لا ينفذ إليها النور أو تنتشر فيها أشعة الشمس.

أما مؤونة البناء فكانت محلية صرفة حيث لا يستعمل فيها غير الطين واللبن المخلوط بالتبن لكي يتماسك عند نزول الأمطار، ولم تكن تستعمل الحجارة في البناء إلا نادراً وفي أساس البناء غالباً. وكانت الأبواب تصنع محلياً حيث تُعمل الأبواب الصغيرة والمتوسطة من خشب الأثل، بينما تعمل الأبواب الكبيرة والبوابات من جذوع النخل. أما أبواب الحصون والقصور فتلبّس عادة بالحديد وتبنى أساساتها من الحجارة. وكانت البيوت تضم عدداً من الحجرات بحسب الحالة الاجتماعية والمالية لصاحب المنزل، وتبنى غالباً من طابقين، طابق أرضي يحتوي على قاعة كبيرة للضيوف تسمى ديوانية وهي المكان المعد لاستقبال الضيوف، وكان الناس يعتنون بتزيينه حيث يُطلى داخله بالجص ويُنقش عليه أشكال من الدوائر أو المربعات أو المثلثات، كما أن سقف الديوانية يُصبغ بالألوان اللامعة السوداء أو

الحمراء أو بهما معاً، أما المكان المعد للضيوف في الدور الثاني فيسمى الروشن. ولا تستخدم النوافذ المطلة على الخارج ما عدا واحدة تكون أعلى مدخل البيت وفيها ثقوب يستطيع صاحب البيت معرفة الطارق قبل أن يفتح له، وتسمى طرمة أو طارمة أو منظرة حسب ما كانت تعرف به في كل بلد. كما كان البيت يحوي حوشاً للماشية التي قل أن يخلو منها بيت، وأكثر ما كان يقتنى منها البقر والغنم.(١)

ومن النماذج التاريخية للبناء في منطقة الرياض قصر المصمك، وقصر الحكم وقصر المربع، والسور المحيط بالرياض، وهو مبني من الطين واللبن أقامه الملك عبدالعزيز بعد استعادته الرياض عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م. ويوجد في سور الرياض أبواب من جهات مختلفة، ويسمي أهل الرياض الباب دروازة. فمن جهة الشرق هناك باب الثميري نسبة إلى رجل من أهل حريملاء قتل عند هذا الباب عند قيام الدولة السعودية الأولى، وفي نفس الجهة يوجد كذلك باب القري نسبة إلى قري هناك يستقى منه الماء. ومن جهة الشمال هناك باب آل سويلم وهو منسوب إلى هذه الأسرة المعروفة، وهي من أشهر أسر الرياض، حيث كانت تسكن بجوار هذا الباب. ومن الجهة الجنوبية هناك باب دخنة لمجاورته لبئر تعرف بهذا الاسم كان يجلب منها ماء الشرب لأهل الرياض. وفي الجهة الغربية هناك باب المذبح، وقد عرف بهذا الاسم لأن الجزارين يذبحون المواشي خارجه ثم تنقل للبيع في داخل الرياض. وفي الجهة الجنوبية الغربية هناك باب الشميسي نسبة إلى محلة تقع خارج المدينة.(٢) وفي بلاد الخرج وتحديداً في بلدة السيح يوجد معلم بارز من معالم الخرج وهو قصر الملك عبدالعزيز الذي تم بناؤه في عام ١٣٥٩هـ/

---

(١) الجاسر، حمد (١٣٨٦م)، مرجع سابق، ص ص١١٧-١١٩؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٧؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، **الرياض مدينة وسكاناً، كيف كانت وكيف عاشوا**، مطابع الحرس الوطني، الرياض، ص ص ٢٧-٣٠. وقد تختلف طريقة البناء وتخطيط البيت، وما تحتويه غرفة الضيوف من بلد إلى آخر في منطقة الرياض. ولمزيد من المعلومات عن طريقة بناء البيوت وصور عن بعض المباني في تلك البلاد انظر: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص١٨١-١٨٧؛ العمار، محمد ابن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، **شقراء**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ٩٣-١٠٢؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **ضرما**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٨، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض ص ص١٤٥-١٥٢. .

(٢) انظر عن سور وبوابات الرياض القديمة مع صور لها: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٢٠-١٢١؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ٢٠٧-٢١٤؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٣- ١٠٤؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ١٣-١٤؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص٥٦.

١٩٤٩م وهو يتكون من خمس وحدات متماثلة من حيث التصميم ومواد البناء وعدد الطوابق. وهناك قصر أبو جفان الذي يقع شمال شرق الخرج ويبعد عنها حوالي ٨٠ كيلاً، وقد بني في عهد الملك عبدالعزيز عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. وهناك قصر الإمام تركي بن عبدالله في ضرما. وهناك قصر سويّد ابن علي وكذلك بقايا مبنى الإمارة في عهد الإمام فيصل بن تركي في جلاجل.[١]

ولا شك أن التطور العمراني وطريقة البناء وتصميمه قد أخذ يحل تدريجياً محل الأنماط القديمة في بلاد منطقة الرياض. وسنركز على إيراد بعض ملامح التطور في مدينة الرياض كنموذج للتطور العمراني في البلاد الأخرى في منطقة الرياض مع الأخذ في الاعتبار فارق المكانة والإمكانات. فمنذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري أخذت مدينة الرياض في التطور العمراني والاتساع المكاني حتى اختلفت عن الرياض القديمة التي لم يبق منها إلا آثارها. لقد ازداد عدد السكان في مدينة الرياض تدريجياً حتى إنه في آخر عهد الملك عبدالعزيز بدأ العمران خارج أسوار الرياض القديمة ثم توسع في جميع اتجاهاتها شرقاً وغرباً ثم شمالاً.

ومن المظاهر الجديدة في ذلك الوقت بناء قصر المربع في الجهة الشمالية من الرياض، وقد أطلق عليه هذا الاسم لإحاطته بأبراج مربعة، وهو مبني من الطين واللبن حيث اتخذه الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٨هـ سكناً له. أما القصر القديم، الذي سمي فيما بعد قصر الحكم، فقد بقي لاستقبال الضيوف.[٢] أما خدم الملك عبدالعزيز فقد كان لهم محلة خاصة في الجهة الشرقية من المدينة تعرف باسم حلة الأحرار. وبجوارها من جهة الشمال والشرق محلة أغلب سكانها من أهل القصيم ولذلك أصبحت تدعى حلة القصمان[٣]. ونتيجة للتوسع الذي شهدته الرياض، وبناء محلات خارجه، أزيل سور الرياض في عام

---

(١) انظر وصفاً وصوراً لهذه القصور وغيرها كنماذج من البناء في بلاد منطقة الرياض في: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٦-٥٩؛ الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، **جلاجل**، سلسلة هذه بلادنا، رقم٢١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ١٠٠-١٠٢؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦٢-٦٣.

(٢) بُني قصر المربع في عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، أما قصر الحكم فقد أسسه الإمام تركي بن عبدالله حيث سكن فيه، ثم سكنه بعده ابنه الإمام فيصل بن تركي، وبعد استعادة الرياض سكن فيه الملك عبدالعزيز بعد توسعته وإدخال بعض الإصلاحات فيه. وللمزيد من المعلومات عن قصر المربع وقصر الحكم ووصفهما وصورهما انظر: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١.

(٣) عن أسماء أحياء الرياض القديمة راجع: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٥-٨٧.

١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م فدخلت هذه المدينة منذ ذلك الحين في طور جديد، وبدأت في الاتساع، ثم انفتح باب التطور العمراني في الرياض حيث كثرت فيها القصور المشيدة المجهزة بالآلات الكهربائية، وزاد سكانها، فأعيد تخطيطها حتى أصبحت تشمل مساحة واسعة من الأرض، كما دخلتها وسائل الحضارة الحديثة حيث أقيمت فيها الحدائق، وحلقة لسباق الخيل، وملاعب لكرة القدم، واستاد رياضي. أما التنظيم الإداري المنوط به خدمة هذه المدينة فقد تم في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م عندما تأسست إدارة بلدية الرياض للعناية بتنظيم المدينة وخدمات النظافة العامة والخدمات البلدية الأخرى. وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م حصلت نقلة نوعية في مدينة الرياض وخاصة تطوير مهام بلدية الرياض عندما تولى إدارتها الأمير فهد الفيصل حيث أصبح من مهام البلدية تطوير المدينة في مختلف الجوانب العمرانية والتطويرية. ولمزيد من التنظيم والاستفادة من خبرات الشخصيات المدنية والأهلية في مدينة الرياض أنشئ مجلس بلدي يشرف على مشروعات المدينة وإصلاحاتها.[١]

وسائل الخدمات الحديثة:

أما التطور في الوسائل الحديثة لخدمة السكان مثل الكهرباء، ووسائل الاتصال، وجلب المياه إلى المنازل، والعناية الصحية، والطرق المعبدة في بلاد منطقة الرياض فلم تكن معروفة في بداية عهد الدولة السعودية الحديثة. وبعد استكمال توحيد البلاد وتلاحم أبنائها، بدأ الملك عبدالعزيز يبذل جهوده في سبيل الإعمار والأخذ بالأساليب الحديثة في جميع مناحي الحياة بما يخدم البلاد وأهلها ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية. وقد تحقق في عهده الشيء الكثير، وما بقي أو استجد قام أبناؤه من بعده باستكماله على تلك الأسس حتى الوقت الحاضر.

لم تكن الكهرباء معروفة في بلاد نجد حتى وقت متأخر من القرن الرابع عشر الهجري. وكان الناس يستخدمون في الإنارة الوسائل البدائية، حيث كانوا قبل استخدام مشتقات البترول التي تأتي من الخارج يستخدمون دهن المواشي في إناء صغير من الصفيح يبرز منه فتيل من قماش يشعل بالنار. وبعد استيراد الكيروسين بدأ استخدامه للإنارة في السراج، الذي كان يسمى في بعض بلاد منطقة الرياض سراج أبو دنان، ثم استخدم السراج المعروف الآن، بالإضافة إلى الأتاريك التي توقد بالكيروسين وتضغط

---

(١) عن البلدية وتطورها انظر: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١١٦، ١٢٠-١٢٣؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٢٠٥؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٩٩-٣٠١؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، المرجع السابق، ص ٥٨.

بالهـواء، وهي أكثـر إضـاءة من السـراج. وفي فـترة لاحـقـة تم توزيع الإضـاءة على الطرق والمداخل والشوارع الرئيسية والأحياء الهامة، وكان يقوم بالإشراف عليها موظفون مختصون لمراقبتها وتزويدها بالوقود. وكانت الإضاءة في الشوارع مقصورة على منطقة قصر الحكم، وشارع الثميري، وكانت الإضاءة تبدأ قبيل صلاة المغرب حتى الصباح الباكر. وقد بقيت منطقة الرياض على هذا الوضع حتى أواخر عهد الملك عبدالعزيز عندما بدأت جهود الدولة لإيصال الخدمات العصرية إلى البلاد، وخاصة في مدينة الرياض باعتبارها عاصمة الدولة. وعندما أنشئت محطات الكهرباء كانت صغيرة الحجم قليلة الأحمال وقد استخدمت في أول الأمر للإضاءة فقط، حيث أنشئت في مدينة الرياض في أواخر عهد الملك عبدالعزيز محطة الشميسي لإنارة القصور والمباني الحكومية وبعض المنازل، ثم تطورت خدمة الكهرباء فأسست شركة كهرباء الرياض وضواحيها عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، ثم أنشئت شركة مساهمة لإقامة محطة كهربائية سميت شركة الكهرباء الوطنية وذلك عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.[١]

أما المياه فكانت تجلب إما من آبار داخل المنازل، أو من آبار عامة ومزارع خارج البيوت. ومن أشهر الآبار في ذلك الوقت بئر الثميري، وبئر المريقب، وبئر في حلة القصمان، وبئر في بيت الطبيشي. وكانت المياه تسحب بواسطة الدلو الذي يملأ أقل من الصفيحة ويجلب بواسطة الأيدي، أو بواسطة الدواب (السواني). كما وجد في ذلك الوقت السقا الذي يجمل المياه على الدواب ويبيعها على الأهالي بأجرة زهيدة. ولتبريد الماء للشرب كانت القرب المصنوعة من جلد الأغنام هي المستخدمة في معظم بلاد منطقة الرياض، وفي بعض البلاد يستخدم الزير للتبريد وهو مصنوع من الفخار.[٢] ومع التطور الذي شهدته البلاد السعودية في مختلف المجالات، كان نصيب الماء فيها وافراً. ففي عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م تم إيصال المياه إلى مدينة الرياض من مناطق خارج البلد، حيث أصبحت تتغذى على المياه المجلوبة من وادي العرض (الباطن) ومن السويدي، ثم من الحاير، هذا بالإضافة إلى حفر الآبار المتعددة التي تعمل عليها مضخات يتدفق منها الماء بكميات كبيرة تفي بحاجة السكان الذين تزايد عددهم مع مرور الوقت.[٣]

---

(١) انظر عن الإنارة والكهرباء في مدينة الرياض: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٢٥-١٢٦؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٩٧-٩٨.

(٣) انظر عن المياه في مدينة الرياض في الماضي والحاضر: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٢٤-١٢٥؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢٦٩-٢٧٣.

ولم تكن وسائل الاتصال معروفة في منطقة الرياض، لكن وسائل الاستماع عبر الراديو من محطات خارجية كانت تعرف على نطاق ضيق. ففي مدينة الرياض كان لدى الملك عبدالعزيز موظفين يلتقطون الأخبار العربية والدولية من الراديو أو من اللاسلكي (المبرقات) وينقلونها إليه، لكي يكون على صلة بما يجري في المنطقة العربية، أو العالم من أحداث سياسية، أو حربية، وكان يعقّب عليها تعقيباً موجزاً، مما يدل على بعد نظره حيث كان يتابع أخبار العالم أولاً بأول.(١)

أما الخدمات الصحية في منطقة الرياض في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة فكانت متواضعة، وكانت الأمراض المعدية تفتك بالناس مثل الجدري، والحصبة، والطاعون، والملاريا، والسل، والالتهابات المعوية والرئوية، والسعال الديكي، حيث كان لكل مرض اسم يعرف به محلياً، وكان من طرق الوقاية عندهم عزل المريض عن الأصحاء. أما العلاج فكانوا يستشفون بالقرآن الكريم، والأدعية النبوية، كما كانوا يستخدمون الكي والحجامة والفصد، وكثير منهم يعتمد على ما يسمى بالطب الشعبي وهو التداوي بالأعشاب والنباتات مثل الكبريت والحبة السوداء والصبر، والحلتيت، والمر، والشيح، والكحل. أما الكسور فكان هناك أناس متخصصون في تجبير الكسور.(٢) وبالإضافة إلى الطب الشعبي كان يوجد على نطاق ضيق، بعض الأطباء الذين يحملون الشهادات الطبية الحديثة. ففي عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م قدم إلى بلاد نجد الطبيب الأمريكي لويس ديم بناء على دعوة من الملك عبدالعزيز، حيث عالج بعض المرضى في بعض المدن، وقام بإجراء بعض العمليات الجراحية في كل من الرياض وشقراء وغيرها. كما أن بعض الأطباء الأجانب يقومون برحلات عبر الجزيرة العربية ويقيمون في المدن بعض الوقت، وهناك بعض الأطباء الذين يأتون لأعمال أخرى ويمتهنون الطب. وبعد استقرار الدولة اهتم الملك عبدالعزيز بالجوانب الصحية في البلاد، حيث بذل جهوداً كبيرة للأخذ بالأساليب الحضارية النافعة. وكان أول عمل قام به في هذا المجال إنشاء مصلحة الصحة العامة في عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، واستقدم الأطباء المهرة، كما أمر بجلب أمصال التطعيم ضد الأمراض، وأدخل خدمة المشافي المتنقلة. وفي الرياض أسس مستوصفاً لمعالجة الأمراض وصرف الأدوية بالمجان. وفي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩هـ

---

(١) العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، مصدر سابق، ص ٤.

(٢) انظر عن التداوي والأمراض في منطقة الرياض في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ١١١؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٥-٨٨.

أنشئ أول مستوصف في مدينة الرياض في محلة القري[١]، وبعد ذلك أنشئت مستشفيات أخرى، تبعاً لحاجة السكان وازدياد عددهم، مثل المستشفى العسكري، ومستشفى الشميسي الذي سمي فيما بعد المستشفى المركزي، ومستشفى الملك عبدالعزيز الذي كان يسمى مستشفى طلال. كما افتتحت بعض المستوصفات في مختلف بلاد منطقة الرياض.[٢]

وفي مجال المواصلات والنقل كانت الدواب هي وسيلة النقل داخل البلدان أو بينها، وبعد مضي فترة من حكم الملك عبدالعزيز بدأ استخدام السيارات. وخصص عدد منها صمم تصميماً خاصاً لنقل الطرود والبريد. أما الطرق فلم تكن معبدة. وضمن اهتمام الدولة في مختلف المجالات شهدت المواصلات نقلة نوعية بشق الطرق المعبدة التي تصل مناطق المملكة المترامية الأطراف، كان نصيب منطقة الرياض وافراً بسبب موقعها المتوسط في المملكة، كما ربطت بلدان منطقة الرياض مع بعضها بالطرق المعبدة. وفي داخل العاصمة الرياض تم تعبيد الطرق والشوارع ومنها الطريق الذي يربط المطار بوسط البلد بعد أن كان مرصوفاً بالحجارة، وكذلك بعض الشوارع المهمة. كما استفادت منطقة الرياض من وسائل النقل البحرية نظراً لقربها من المنطقة الشرقية حيث توجد الموانئ على الساحل الشرقي للمملكة. وفي مجال النقل والمواصلات الجوية، أنشئ مطار الرياض لخدمة المسافرين من بلاد منطقة الرياض كافة. كما تم تشييد الخط الحديدي الذي يربط بين الرياض والمنطقة الشرقية، حيث افتتح الملك عبدالعزيز هذا الخط في عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.

العناية بالتعليم والمكتبات:

حرص الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ منذ دخوله الرياض على الاهتمام بالعلم والعلماء. والواقع

---

(١) ذكر فلبي هذا المستوصف، وذكر أنه بدأ العمل عام ١٩٢٩م، وكان يديره الطبيب أحمد يس، ويساعده الصيدلي الطبيب نديم، كما ذكر إحصائيات عن عدد المرضى، وعن الأمراض التي تعالج، راجع:

Philby, H., (1946), **A Pilgrim In Arabia,** Robert Hale Limited, London, P115.

(٢) انظر عن الطب والتطبيب في مدينة الرياض وفي غيرها من بلاد منطقة الرياض: السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٢-٨٣؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ١٢٥-١٢٨؛ إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٠٦. وانظر عن التطور الحديث في المجالات الصحية في مدينة الرياض: الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ١٢٦؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ٢١٧-٢٣٤.

أن اهتمامه بالعلم نابع من حرصه الشخصي واهتمامه به، حيث كان له مجالس علم يلتقي فيها بالعلماء. ومن عاداته بعد العشاء أنه يجلس كل ليلة للاستماع إلى أجزاء من كتب التفسير والحديث أو كتب الأدب والتاريخ. ومع ذلك فإنه يعترف بأنه لم يكن ضليعاً في المسائل الفقهية الدقيقة، حيث يقول: "إن الغزوات والحروب لم تدع لي وقتاً للتبحر في العلوم". ومن جهة أخرى، كان الملك عبدالعزيز متحدثاً طلقاً يتحدث بغير تكلف، وكانت أحاديثه تدور غالباً حول الذكريات التاريخية والمواعظ الدينية والتعقيب على الحوادث المهمة، والمسائل العالمية، وكان دائماً يستشهد بالآيات القرآنية، ويروي الأحاديث النبوية، وفي بعض الأحيان يروي الأبيات من الشعر.(١)

وإذا كان هذا حال الملك عبدالعزيز في حبه للعلم فإن له جهوداً أخرى في مجال تشجيع العلم والتعليم كما هي سنة أسلافه من آل سعود الذين كانوا يغدقون على طلبة العلم كثيراً من الفضل، فيقررون لهم من المرتبات الشهرية ما يقوم بحاجتهم ليتفرغوا لتحصيل العلم، ولذلك كان طلاب العلم يأتون إلى الرياض من جميع أنحاء المملكة لطلب العلم ثم يعودون إلى بلادهم، حتى إنه قلّ أن يوجد في بلاد نجد عالم أو قاض لم يتلق العلم في الرياض على يد علمائها من آل الشيخ وغيرهم.(٢)

كان التعليم الديني، في تلك الفترة المبكرة من عمر الدولة السعودية المعاصرة، وحتى ضم الحجاز، هو الغالب على ثقافة الناس من الحاضرة في بلاد منطقة الرياض كافة من حفظ القرآن الكريم وتعلمه، وتعلم العلوم الشرعية مثل التفسير، والحديث، والفقه، والفرائض، وكذلك دراسة ما يخدم العلوم الشرعية مثل اللغة العربية، والأدب، والنحو. وكان يطلق على من يتولى التعليم من العلماء في كل قرية تقريباً من بلاد نجد المطوع، وبالإضافة إلى التعليم كان المطوع يقوم بالإمامة والخطابة. وعندما يتعلم الطالب القراءة والكتابة يسافر إلى المدن الكبيرة مثل الرياض لمتابعة التحصيل العلمي على أيدي مجموعة من العلماء المشهورين. وكان الطلاب يهتمون، بالإضافة إلى العلوم الشرعية بدراسة التاريخ.(٣) وبذلك يمكن القول أن التعليم في ذلك الوقت يتم عبر ثلاث مراحل هي: الكتاتيب، وحلقات المساجد، والرحلات لطلب العلم. وكان أكثرها انتشاراً مرحلة الكتاتيب حيث توجد في كل البلاد في المدن والقرى. وكانت الدراسة في هذه الكتاتيب تتم عادة في حُجُرات داخل المسجد أو

---

(١) العقاد، عباس محمود، (١٤ صفر ١٣٦٥هـ/ ١٨ يناير ١٩٤٦م)، مصدر سابق، ص ص ٤، ١٣.

(٢) الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٣) صابان، سهيل، (١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ١٧٥.

ملاصقة له، وتبدأ الدراسة عادة عند شروق الشمس حتى الضحى، ثم يعود الطلاب للدراسة بعد صلاة الظهر إلى العصر، حيث يدرس الأولاد الصغار مبادئ القراءة والكتابة. ومما يلاحظ على هذه الكتاتيب أن الإقبال عليها لم يكن كبيراً، ولذلك فإن عدد الطلاب الذين ينتظمون فيها محدود، ومن ينتظم منهم لا يستطيع أن يكمل دراسته بسبب حاجة الأب لأبنائه في أعماله لكسب العيش، وخاصة الزراعة. ولهذا السبب فإن عدد الملمين بالقراءة والكتابة من الحضر قليل جداً، أما البدو فإن نسبة الذين يقرؤون أو يكتبون أقل من ذلك بكثير، أما تعليمهم على يد العلماء الذين كان يبعثهم الملك عبدالعزيز إلى هجرهم فكان يتركز على تلقينهم العلوم الشرعية اللازمة لهم.[1] أما التعليم في حلقات المساجد فيكثر في المدن وعلى أيدي نخبة من العلماء والمشائخ، حيث يوجد في كل مسجد حلقة أو أكثر لتعليم العلوم الشرعية واللغة العربية.

وقد برز في كل مدينة وقرية في منطقة الرياض عدد من العلماء المبرزين. ففي الرياض كان التعليم يتم في مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف حيث يوجد فيه خمس حلقات في أوقات مختلفة، وفي المسجد الجامع الكبير، وفي مسجد النعيمي، وفي مسجد ابن شلوان، ثم انتقل التعليم إلى حجرات بجانب المساجد. ومع مرور الوقت استمر الاهتمام بالتعليم الشرعي من جانب الدولة والحرص من جانب الأهالي. أما الرحلات العلمية فكانت مقصورة على عدد محدود من الطلاب القادرين مادياً، والمبرزين علمياً من بين طلاب الحلقات.

أما التعليم الحديث الذي يجمع بين التعليم الشرعي ودراسة العلوم الحديثة، الطبيعية والنظرية، فقد بدأ أولاً على أيدي بعض المهتمين والمثقفين من أهل بلاد منطقة الرياض وغيرها من بلاد نجد الذين سافروا إلى البلاد المجاورة في الحجاز والشام حيث تعلموا هناك العلوم الحديثة، ثم عادوا إلى بلادهم وعملوا على افتتاح بعض المدارس الخاصة والأهلية، على نطاق ضيق، حيث كان لها أثر في نشر التعليم في تلك المرحلة. أما على النطاق الرسمي فقد بدأ التعليم النظامي يدخل إلى البلاد مع فتح المدارس الحكومية. ومما يلاحظ أن التعليم الرسمي ظل فترة طويلة أقرب في منهجه إلى الكتاتيب، التي تعتمد على طريقة الحفظ خاصة القرآن الكريم والعلوم الشرعية الأخرى. كما تدرس فيها بعض العلوم الحديثة مثل الحساب. وقد استفادت منطقة الرياض كغيرها من مناطق المملكة من هذه الخدمات، وخاصة بعد تأسيس مديرية المعارف عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م إذ أنشئت أول مدرسة نظامية في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

عندما أمر الملك عبدالعزيز بفتح مدرسة بجوار قصر الحكم (في الديرة) سميت مدرسة الأبناء، يدرس فيها الأمراء وأتباعهم، وبعض أبناء الموظفين في القصر. واقتداء بوالده افتتح الأمير سعود (الملك فيما بعد) مدرسة لأبنائه في عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م سميت مدرسة الأنجال.[١] وفي عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م أسس الأمير منصور بن عبدالعزيز مدرسة عامة في المربع. وفي عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م أسست مدرسة الأيتام، ثم ضمت بعد سنة واحدة إلى المدرسة التي أسسها الأمير منصور. وبعد ذلك توالى فتح المدارس الابتدائية حيث افتتحت المدرسة التذكارية (الأهلية) عام ١٣٦٧هـ، والمدرسة العزيزية بالظهيرة عام ١٣٦٨هـ، والمدرسة الفيصلية في الشميسي عام ١٣٦٩هـ، والمدرسة السعودية بالمربع عام ١٣٧٠هـ، والمدرسة المحمدية بدخنة عام ١٣٧٠هـ.[٢] وفي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م افتتحت أول مدرسة ثانوية في مدينة الرياض. وبعد ذلك توالى إنشاء المدارس النظامية الحكومية في مدينة الرياض وفي غيرها من مدن منطقة الرياض. ومن اهتمام الملك عبدالعزيز بالتعليم عامة وحرصه على نشر العلم الشرعي بخاصة، تم إنشاء المعهد العلمي بالرياض في عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م؛ حيث أوكل مهمة الإشراف عليه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي البلاد السعودية، وبعد ذلك افتتحت معاهد مماثلة له في المملكة.

وقد نالت البلاد الأخرى في منطقة الرياض نصيبها من التعليم الحكومي، ففي عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م افتتحت في شقراء أول مدرسة ابتدائية هي مدرسة أبو بكر الصديق، وفي الخرج افتتحت أول مدرسة حكومية نظامية عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م. وفي الزلفي افتتحت أول مدرسة ابتدائية في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م. وفي كل من الدوادمي وجلاجل افتتحت أول مدرسة ابتدائية في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م. وفي كل من روضة سدير والأفلاج افتتحت أول مدرسة ابتدائية في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م،

---

(١) يذكر آل الشيخ أن تاريخ افتتاح الملك عبدالعزيز لأول مدرسة كان عام ١٣٥٤هـ، وقد تولى إدارتها الشيخ أحمد العربي حتى عام ١٣٥٦هـ، ثم جاء بعده الشيخ عبدالله خياط الذي استمر حتى عام ١٣٧٣هـ. أما مدرسة الأنجال فقد تولى إدارتها الشيخ عبدالله بن حسين بن غانم حتى عام ١٣٦٣هـ حيث تولى بعده الشيخ عثمان الصالح. وفي عام ١٣٧٣هـ ضمت المدرستان في مدرسة واحدة سميت معهد العاصمة النموذجي. انظر: آل الشيخ، عبدالعزيز بن حسن، (١٤١٢هـ)، **لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) راجع: الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٩٧.

ثم تتابع إنشاء المداس في كل بلد من بلاد منطقة الرياض بعد ذلك.[١]

أما التعليم الجامعي في منطقة الرياض فقد بدأت بوادره في وقت متأخر نسبياً، بل في السنة التي توفي فيها الملك عبدالعزيز، وقد اقتصر ولا يزال على مدينة الرياض نظراً لقرب بلدان منطقة الرياض من مدينة الرياض، أو من المناطق الأخرى المجاورة التي يوجد فيها تعليم جامعي مثل القصيم. وقد كان نواة التعليم الجامعي في مدينة الرياض كلية الشريعة التي افتتحت للدارسة في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، وكلية اللغة العربية التي افتتحت في عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م، وبعد ذلك أصبحت هاتان الكليتان والمعاهد العلمية تضمها هيئة مستقلة تسمى الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية؛ وهي نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م أنشئت جامعة الملك سعود، وتوالى بعد ذلك إنشاء الكليات المدنية والعسكرية والتقنية وغيرها، كما سيأتي تفصيله في الجزء السابع.

أما المكتبات في منطقة الرياض في بداية عهد الدولة السعودية المعاصرة فكان أغلبها مكتبات خاصة. ويأتي في طليعة هذه المكتبات، المكتبة الخاصة بالملك عبدالعزيز، والموجودة في قصر الحكم، التي تضم نوادر المخطوطات التي ورثها الملك عبدالعزيز عن آبائه، إضافة إلى ما يصل إليه عن طريق

---

(١) عن بدايات التعليم في المساجد والكتاتيب، وكذلك بداية التعليم الحكومي في بلاد منطقة الرياض راجع: آل الشيخ، عبدالعزيز بن حسن، (١٤١٢هـ)، ص ص ١٠٠-١٠٣؛ السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٧٣؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٧٩؛ الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٦٣-٢١٦؛ الشهيل، عبدالله بن محمد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٢٠٠، ٢٣٨-٢٤٣؛ الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ص ٧١-٧٢؛ الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص١٠٣-١١٥؛ العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ١٣٧؛ المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٨٢؛ أبا بطين، عبدالله بن محمد بن عبدالله، (١٤١٢هـ)، **روضة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٨٣، الطخيس، سعد بن محمد بن سعد، (١٤١٢هـ)، **الدوادمي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٥، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ٨٤؛ الدوسري، إبراهيم بن صالح بن راشد، (١٤١١هـ)، **الأفلاج**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٢٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ١١٣- ١١٩؛ القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ٨٢؛ الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦٧-٧٨؛ الدبل، محمد بن سعد، (١٤٠٨هـ)، **الحريق**، سلسلة هذه بلادنا، رقم١٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص ٥٨-٥٩؛ الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٧.

الإهداء أو الشراء.[١] ليس هذا فحسب بل إن من اهتمام الملك عبدالعزيز بالكتب أنه خصص في قصر الحكم خزانة خاصة بالكتب المطبوعة والمخطوطة التي توزع مجاناً على طلبة العلم والمستفيدين. ومن جانب آخر كان هناك مكتبات خاصة بالعلماء يحتفظون بها في منازلهم كعادة العلماء في كل البلاد، وكان الإطلاع عليها ووقفها يتم من خلال صاحب المكتبة الذي يحرص على اقتناء الكتب الشرعية والعربية وما يفيد من الكتب الثقافية. ومن هذا المنطلق كانت الاستفادة منها مقصورة على طلبة العلم والعلماء الذين يجتمعون في تلك البيوت العلمية. وقد كانت مدينة الرياض مأوى لكثير من العلماء وطلبة العلم، وكانت العادة أن العالِم إذا توفي أحضرت كتبه إلى الرياض ليطلع عليها العلماء. ومن أشهر المكتبات الخاصة في مدينة الرياض مكتبة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، ومكتبة الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، ومكتبة الشيخ حمد بن فارس، ومكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. أما المكتبات العامة في مدينة الرياض فقد أنشئت في وقت متأخر من عهد الملك عبدالعزيز، حيث أنشأ الأمير مساعد بن عبدالرحمن الفيصل أول مكتبة عامة في الرياض في عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م وكان يسمح للعامة بدخولها والاستفادة منها. وفي عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م أنشئت المكتبة السعودية تحت إشراف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم توالى بعد ذلك إنشاء المكتبات العامة والحكومية.[٢]

بداية تطور الزراعة والصناعة:

في مجال الزراعة والصناعة كانت بلاد منطقة الرياض كغيرها من بلاد نجد خاصة، والبلاد السعودية عامة، تعتمد على الوسائل البدائية في الزراعة والإنتاج الحيواني رغم التفاوت النسبي في طبيعة الاعتماد على تلك الوسائل. وحتى عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٥م كانت الطريقة المستخدمة في بلاد منطقة الرياض لجلب المياه هي السواني، والأدوات المستخدمة في هذه العملية من البكرات والدلاء

---

(١) يوجد ما تبقى من هذه المكتبة الآن في دارة الملك عبدالعزيز. وللمزيد من المعلومات عن حرص الملك عبدالعزيز على العلم وتشجيعه، وسجلاً وافياً لما تحتوية مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة من مؤلفات طبعت على نفقته الخاصة، ومؤلفات أهديت له، ومؤلفات نادرة، بالإضافة إلى فهرس لجميع محتوياتها انظر: السماري، فهد بن عبدالله، (١٤١٧هـ)، **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٢) الجاسر، حمد (١٣٨٦)، مرجع سابق، ص ص ١٣٠-١٣١؛ الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د.ت.)، مرجع سابق، ص ٧٩؛ الشهيل، عبدالله بن محمد، (د.ت.)، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

والأرشية تسمى عدة، بينما تسمى الحيوانات التي تسير ذهاباً وإياباً لجر هذه العدة سانية.[١] وفي منطقة الرياض لم يكن الإنتاج الزراعي يتعدى الحبوب والتمر وبعض الخضراوات، بينما يعتمد السكان على الحيوانات التي يستخدمونها في حياتهم للتنقل، ونقل الأمتعة، ومصدراً للحوم. أما الصناعة فكانت يدوية وبدائية تكفي لسد حاجة السكان اليومية في ذلك الوقت.[٢] ومع بداية عهد الدولة السعودية الحديثة اهتم الملك عبدالعزيز، بعد أن وطد أركان دولته وبعد أن أنعم الله عليه باكتشاف البترول، بالنواحي الزراعية والصناعية وغيرها من وسائل التقدم والرقي في البلاد، حيث استقدم الخبراء في مجال الزراعة والصناعة واستجلب الآلات الزراعية والصناعية وأعفى تلك الآلات من الرسوم الجمركية، بل إن الدولة في عهده اشترت مكائن زراعية لتوزيعها على المزارعين بلا ثمن.[٣] وقد شهدت البلاد بداية جادة للمشروعات الزراعية والصناعية حيث برزت تلك المشروعات للعيان كدليل على ذلك الاهتمام. ومن تلك المشروعات مشروع الخرج الزراعي الذي أمر الملك عبدالعزيز بإنشائه في الخرج عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، وكذلك إنشاء المصانع الحربية في الخرج في عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.[٤]

---

(١) عن الزراعة وتطورها في منطقة الرياض راجع: الوشمي، أحمد بن مساعد، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١؛ العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢. وانظر نماذج للحرف والصناعات المحلية في منطقة الرياض على سبيل المثال: في ضرما انظر: الطخيس، سعد بن محمد بن سعد، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٧٦-٨١؛ وفي الأفلاج انظر: الدوسري، إبراهيم بن صالح بن راشد، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٣٨-١٤٥؛ وفي جلاجل انظر: الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، مرجع سابق، ص ص ١١٤-١٢٢؛ وفي الحريق انظر: الدبل، محمد بن سعد، (١٤٠٨هـ)، مرجع سابق، ص ص ٥٥-٥٨؛ الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص ٨٦-٨٩.

(٣) إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٤) انظر عن هذين المشروعين: الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، مرجع سابق، ص ص ١٥٠-١٥٢، ١٥٧.

obeikan.com

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق:

إمارة منطقة الرياض، أوراق خاصة.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٥**، من وزارة المالية إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي الحجة ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٨**، من وزارة الداخلية إلى السلطان، تاريخ ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١١** تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ جماد أول ١٣٢٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٢**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٣**، من الصدر الأعظم إلى السلطان، تاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٤**، برقية من والي البصرة إلى الصدر الأعظم، تاريخ ١٣ أغسطس ١٩١٧م.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-١٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شوال ١٣٢٠هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٠**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٦ جماد الأول ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٢**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٨ شوال ١٣١٩هـ.

obeikan.com

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٣**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢٥ رمضان ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٤**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شعبان ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٩ شوال ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٦**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٥ رمضان ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٧**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٢ شوال ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٨**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ ربيع الآخر ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٢٩**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١ رمضان ١٣١٧هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٠**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ٨ ذي القعدة ١٣٢٢هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣١**، من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ١٤ جمادى الأول ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٢**، تقرير من مجلس الوزراء إلى السلطان، تاريخ ٧ محرم ١٣١٨هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٤**، تقرير من رئيس الكتاب إلى السلطان، تاريخ ١٤ رجب ١٣١٧هـ.

obeikan.com

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٥**، من رئيس الكتاب إلى السلطان، ١٨ رجب ١٣١٩هـ.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق العثمانية، **وثيقة رقم ٢/ ٧-٣٦**، من والي البصرة إلى الباب العالي، تاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٥م.

دارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الوثائق البريطانية:

142. from F. S. Pelam, 31 January 1902. / 7 /P & S /I.O.R. L

C 239. / 20 /P & S /I.O.R. L

ثانياً: المخطوطات:

آل بسام، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ تقريباً)، **كتاب تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، نقله عن الأصل الخطي نور الدين شريبة، سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، صورة مخطوطة في دارة الملك عبدالعزيز.

ابن ناصر، عبدالرحمن، (ت ١٣٩٠هـ) **عنوان السعد والمجد فيما استطرف من أخبار الحجاز ونجد**، ج١، صورة مخطوطة، دارة الملك عبدالعزيز.

الذكير، مقبل عبدالعزيز، (ت ١٣٦٣هـ)، **مخطوطة العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز، مصورة عن نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، كلية الآداب.

السلمان، عبدالله بن عبدالرحمن، (مخطوط) **تاريخ بعض حوادث وقعت في نجد**، ١٢٨٤-١٣٤٤هـ.

العُبيّد، محمد العلي، (ت ١٣٩٩هـ)، **النجم اللامع للنوادر جامع، أخبار وأشعار من القرنين الثالث عشر والرابع عشر**، صورة مخطوط لدى دارة الملك عبدالعزيز.

القاضي إبراهيم بن محمد بن عبدالله، (ت ١٣٤٦ هـ)، **مخطوط القاضي**، ١٢٩٠ - ١٣٤٥هـ.

ثالثاً: المصادر العربية والمعرّبة:

آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عد المحسن، (١٣٧٩هـ)، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، ج١، مطابع الرياض، الرياض.

آل عبدالمحسن، إبراهيم بن عبيد، (د. ت.)، **تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان**، مطابع مؤسسة النور للطباعة والنشر، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**، وزارة المعارف، الرياض.

بنواميشان، (١٣٨٥هـ)، **عبدالعزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة**، ترجمة عبدالفتاح ياسين، دار الكاتب العربي.

حمزة، فؤاد، (١٣٨٨هـ)، **البلاد العربية السعودية**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

خزعل، حسين خلف الشيخ، (د. ت.)، **تاريخ الكويت السياسي، عصر الشيخ مبارك**، ج٢، دار الكتب، بيروت.

الرشيد، ضاري بن فهيد، (١٣٨٦هـ)، **نبذة تاريخية عن نجد**، منشورات دار اليمامة، الرياض.

الريحاني، أمين، (د. ت.)، **ملوك العرب**، دار الجيل، بيروت.

الريحاني، أمين، (١٩٧٠م)، **نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما**، مؤسسة الريحاني، بيروت.

الزامل، عبد الله العلي، (١٣٩٢هـ)، **أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود**، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت.

الزركلي، خير الدين، (١٣٩٧هـ)، **شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز**، دار العلم للملايين، بيروت.

سعيد، أمين محمد، (١٣٥٢هـ)، **ملوك المسلمين المعاصرين ودولهم**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

obeikan.com

عطار، أحمد عبدالغفور، (١٣٩٩هـ)، **صقر الجزيرة**، المجلد الأول، مكة المكرمة.

الغلامي، عبدالملك، (١٤٠٠هـ)، **الملك الراشد**، دار اللواء، الرياض.

فاسلييف، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو.

فلبي، سنت جون، (د.ت.)، **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، (السلفية)، تعريب عمر الديراوي، المكتبة الأهلية، بيروت.

مجلة المنار، مجلد ٥، ج١١، ومجلد ٧، ج١٩.

لوريمر، ج.ج. (١٩٧٦م)، **دليل الخليج**، القسم التاريخي، مكتب سمو أمير دولة قطر.

وزارة الخارجية، (١٣٧٠هـ)، **مجموعة المعاهدات في الفترة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م-١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م**، ج١، مكة المكرمة.

وليمز، كنث، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م)، **ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز**، تعريب كامل صمويل مسيحه، المطبعة الأدبية بيروت.

وهبه، حافظ، (١٣٨٧هـ)، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

وهبه، حافظ، (١٣٨٠هـ)، **خمسون عاما في جزيرة العرب**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.

رابعاً: المراجع العربية والمعرّبة:

أمانة مدينة الرياض، **معجم أسماء شوارع مدينة الرياض وميادينها**، جـ١، دار الشبل، الرياض.

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، (١٣٨٨هـ)، **آل سعود**، الرياض.

آل الشيخ، عبدالعزيز بن حسن، (١٤١٢هـ)، **لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية**، مكتبة العبيكان، الرياض.

obeikan.com

آل الشيخ، عبدالعزيز بن محمد، (١٤١١هـ)، **المختار من مجلة المنار، صفحات من مواقف الملك عبدالعزيز وصور من جهاده**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

أبا بطين، عبدالله بن محمد بن عبدالله، (١٤١٢هـ)، **روضة سدير**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٣١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

أبو العلا، محمود طه، (١٩٧٢م)، **جغرافية شبه جزيرة العرب**، الجزء الثاني، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، الطبعة الثانية، القاهرة.

أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٤هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٣٩٦هـ)، **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الإعلام الداخلي، (١٤٠٩هـ)، **هذه بلادنا**، وزارة الإعلام، المملكة العربية السعودية، الرياض.

الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، (١٤٠٩هـ)، **جلاجل**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٢١، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الأحيدب، عبدالعزيز بن محمد، (١٣٩٧هـ)، **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، مطابع الإشعاع، الرياض، ص١٤٠.

أم القرى، هيئة تحرير جريدة أم القرى، (الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ/ ١ مارس ١٩٢٩م)، الهجر في جزيرة العرب، مثنا مدينة ودسكرة حديثة: طريقة جلالة الملك في تحضير القبائل وتخطيط الهجر، **أم القرى**، السنة الخامسة، العدد ٢١٨.

إبراهيم، سيد محمد، (١٣٩٣هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، (١٩٨٨م)، **أمراء وغزاة، قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج**، دار الساقي، لندن.

ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، مطبعة الفرزدق، الرياض.

ابن هذلول، سعود، (١٤٠٢هـ)، **تاريخ ملوك آل سعود، الرياض**، مطابع المدينة، الرياض.

obeikan.com

البديوي، محمد منير أحمد، (١٣٩٧هـ)، **المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود**، مطابع نجد التجارية، الرياض.

التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحسن، (١٩٩٧م)، **لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبدالعزيز دراسة وثائقية**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.

الجاسر، حمد (١٣٨٦)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

جمعة، رابح لطفي، (١٤٠٢هـ)، **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

الجهني، عبدمسعود، (١٤٠٤هـ)، **مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية**، دار تهامة، جدة.

الحميضي، ناصر عبدالله عبدالعزيز، (١٤١٢هـ)، **القصب**، هذه بلادنا، رقم ٣٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الخضيري، ناصر بن فارس: المقبل، مقبل بن تركي، (١٤١٥هـ)، دراسة عن الرجال الذين دخلوا الرياض مع الملك عبدالعزيز عند استردادها عام ١٣١٩هـ، **الدارة**، السنة العشرون، العدد الثالث.

الدبل، محمد بن سعد، (١٤٠٨هـ)، **الحريق**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ)، **الخرج**، سلسلة هذه بلادنا رقم ٤٠، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الدوسري، إبراهيم بن صالح بن راشد، (١٤١١هـ)، **الأفلاج**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٢٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

رحمو، محمد إبراهيم، (١٤٠٢هـ)، **أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الرشيد، عبدالعزيز، (١٩٧٨م)، **تاريخ الكويت**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

obeikan.com

الرويشد، عبدالرحمن سليمان، (د. ت.)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي، وروعة الحاضر**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

السعدون خالد محمود، (١٤٠٣)، **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ/ ١٩٠٢-١٩٢٢م**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

السلمان، محمد بن عبدالله، (١٤١٥هـ)، **توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

السماري، فهد بن عبدالله، (١٤١٧هـ)، **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الشعيبي، صالح المحمد، (١٤٠٧هـ)، **ملامح السياسة المالية والإدارية في المملكة العربية السعودية**، مكتبة الخريجي، الرياض.

الشهيل، عبدالله بن محمد، (د. ت.)، **فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة ١٣٣٣-١٣٥١هـ/ ١٩١٥-١٩٣٢م**، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض.

صادق، محمد توفيق، (١٣٨٥هـ)، **تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية**، معهد الإدارة العامة، الرياض.

الطخيس، سعد بن محمد بن سعد، (١٤١٢هـ)، **الدوادمي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٥، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الطربين، أحمد، (يوليو ١٩٧٦)، عبدالعزيز آل سعود منشئ دولة وباعث نهضة، **مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية**، العدد السابع، السنة الثانية.

الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل، (١٤١٣هـ)، **مسائل من تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة دار الأصالة، الرياض.

العتيبي، إبراهيم بن عويض الثعلي (١٤١٧هـ)، **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣هـ/ ١٣٧٣هـ)**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الطبعة الأولى الرياض.

obeikan.com

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٧هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج ٢، مكتبة العبيكان، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد**، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٥هـ)، **معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد**، مكتبة العبيكان، الرياض.

العمار، محمد بن إبراهيم بن عبدالله، (١٤٠٨هـ)، **شقراء**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

العمروي، عمر بن غرامة، (١٤٠٦هـ)، **المعالم الجغرافية والتاريخية لمواقع الملك عبدالعزيز الحربية**، مطابع الفرزدق التجارية.

القباني، محمد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **ضرما**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٨، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

قدورة، زاهية، (د.ت)، **شبه الجزيرة العربية: كياناتها السياسية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

قزاز، حسن عبدالحي، (١٤١١هـ)، **الأمن الذي نعيشه**، جـ١، الطبعة الثانية، دار العلم للطباعة والنشر بجدة.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ)، **الرياض**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ٣٧، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض.

المارك، فهد، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، **من شيم الملك عبدالعزيز**، الرياض.

المسعود، عبدالرزاق بن أحمد اليوسف، (١٤٠٨هـ)، **الزلفي**، سلسلة هذه بلادنا، رقم ١٣، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

obeikan.com

المكي، عبدالفتاح حسين، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام**، مكتبة المعارف، الطائف.

الموسوعة العربية العالمية، (١٤١٦هـ)، موسسة أعمال الموسوعة.

الوشمي، أحمد بن مساعد، (د.ت.)، **الرياض مدينة وسكاناً، كيف كانت وكيف عاشوا**، مطابع الحرس الوطني، الرياض.

obeikan.com

خامساً : المصادر والمراجع الأجنبية:

Bertram, Thomas, (1932), **Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia,** Charles Scribneis Sons, New York.

Bidwell, Robin, (1971), **The Affairs of Kuwait** 1896-1905, Foreign Office Confidential print, vol. 1., part III, London.

Blunt, Lady Ann, (1881), **Pilgrimage to Najd: the Cradle of the Arab Race, a Visit to the court of the Arab Amir and our Persian campaign,** 2 vols., John Murray, London,

De Gaury, Gerald, (1943), **A Saudi Arabian Note Book,** Cairo.

Graves, Philip, (1941), **The Life of Sir Percy Cox**, London.

Habib, John. S. (1978), **Ibn sauds Warriors of Islam, The Ikhwan of Najd and their Role in the Creation of the Saudi Kingdom, 1910-1930,** Leiden.

Habib, John. S. (1970), **The Ikhwan Movement of Najd: Its Rise, , And Decline,** PH.D., The University of Michigan.

Guarmani, Carlo, (1904), **Northern Najd**, Translated from the Italian by Lady Capel Curo, London, India Office.

Lebkicher, Roy, (1950), **Background of Arabia and the Middle East**., New York.

Lorimer, J.G, (1986), **Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia,** Archive Edition.

Musil, Alois, (1928), Northern Nejd. **American Geographical Society**. Oriental Explorations and Studies, No. 5, New York.

Peretz, Don, (1983), **The Middle East Today**, Praeger Publishers, New York.

obeikan.com

Philby, J., **APilgrim In Arabia,** Robert Hale Limited, London, P.115.

Philby, J., (October 1926), The Triumph of the Wahhabis, **Journal of Central Asian Society**, vol. xiii, part iv.

Philby, J. B., (1932), **Saudi Arabia**, Arro Press, New York.

Troeller, G., (1976), **The Birth of Saudi Arabia (Britain and the Rise of the House of Saud),** London.

obeikan.com